CC BY

College of Basic Education Research Journal

www.berj.mosuljournals.com

The implications of deviating speech from the apparent context in Surah (Aal-E-Imran) / A rhetorical study

Khuncha Sabah Ahmed

University of Salahaddin/College of Education- Shaqlawa

Article Information

Article history:
Received: January 13,2024
Reviewer: March 9,2024
Accepted: March 14,2024
Available online

Keywords:
Apparent Meaning, Manifestation, Ellipsis, Diversion, Implications of Prohibition

Correspondence:
khuncha.ahmed@su.edu.krd

Abstract

This research examines various forms of deviation from the apparent meaning in Surah Al-Imran, employing a rhetorical analysis. The study delves into the phenomenon of speech deviation from the apparent meaning, analyzing its manifestations, and exploring the rhetorical devices employed, such as diversion, manifestation, ellipsis, expressing the past through future terminology, and vice versa. The research aims to uncover the rhetorical secrets behind these linguistic deviations.

At the conclusion of the study, the researcher arrived at several key findings, notably that the examination of this linguistic phenomenon revealed some artistic techniques that justify the transition from implicit to explicit and vice versa. The study also highlights the significance of various forms of speech deviation, such as diversion and expressing the past through future terminology, as important rhetorical methods discussed by scholars of rhetoric and interpretation. These methods play a crucial role in conveying meanings to the reader more clearly.

Furthermore, the research establishes the uniqueness of the Quranic text by showcasing a set of stylistic deviations from the apparent meaning in Surah Al-Imran. It solidifies the strong roots of Quranic rhetoric in the field of rhetorical Quranic studies, emphasizing that the Quranic text remains an eternal miracle across ages and times.

ISSN: 1992 – 7452

من مظاهر خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران / دراسة بلاغية

خونچه صباح أَحمد

جامعة صلاح الدين كلية التربية شقلاوة

ملخص البحث:

يقوم هذا البحث بالنظر في بعض صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران دراسة بلاغية، وقد تناول هذا البحث ظاهرة الخروج عن مقتضى الظاهر في الكلام دراسة تحليلية لعدد من أنماطه وأشكاله، والوقوف على النكات البلاغية والخصوصيات البلاغية التي جاء عليها أسلوب الخروج عن مقتضى الظاهر، ومن هذه الأشكال: الالتفات، والإظهار والإضمار، والتعبير عن الماضي بلفظ المستقبل وعكسه والأسرار البلاغية التي جاءت من أجله ، وتناولت البحاثة دلالات الإنشاء في سورة آل عمران، كما تناولت دلالات أسلوب القصر في سورة آل عمران .

وفي نهاية البحث توصلت الباحثة إلى النتائج المهمة هذه الظاهرة البلاغية ومنها: الكشف عن الأسرار السياقية والبلاغية التي من أجلها جاء الانتقال من المضمر إلى الظاهر، ومن الظاهر إلى المضمر، وكذلك كل صور الخروج عن مقتضى الظاهر من التفات، ومن التعبير بالماضي عن المستقبل وعكسه وهي من الأساليب السياقية والبلاغية المهمة التي تناولها جلة من علماء البلاغة والتفسير، وما يملكه في إيصال تلك الدلالات بأوضح نمط وشكل إلى القارئ والمتلقي.

كما أن هذا البحث جاء إثبات تفرد النص القرآني بمجموعة أساليب من صور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر في سورة آل عمران، وترسيخ جذور قوية للبلاغة القرآنية في الدراسات البلاغية القرآنية تعكس أن النص القرآني معجزة خالدة على مر العصور والأزمان.

الكلمات المفتاحية:

مقتضى الظاهر، الإظهار، الإضمار، الالتفات، دلالات النهي.

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا قيمًا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

فإنّ البلاغة العربية من أهم العلوم لفهم كتاب الله وأرفعها، وأسماها مكانة ومنزلة، لأنها تتعلق بأصدق كلام، كتاب الخالق تبارك وتعالى إذا إنها تبين جمال أسلوبية القرآن الكريم وتبرز معانيه ودرره البلاغية لذلك جاءت دراستي البلاغية في سورة آل عمران لمبحث خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.

تقوم الفكرة الجوهرية في البلاغة العربية على إيصال المعنى الدلالي إلى المتلقي بحيث يراعي في ذلك أحواله من الجانب العقلي والجانب النفسي- ؛ فيأتي المعنى الدلالي ليطابق أحوال المقامات ، وهذا المفهوم يتطابق مع تعريف البلاغة القائم على أنها مطابقة الكلام لمقتضى- الحال، وأن لكل مقام مقالاً، ولكل كلمة مع صاحبتها مقال ؛ ومجيء الكلام طبقاً لهذا المقال هو أصل البلاغة، وشرطها الذي لابد منه، ولكن قد يأتي الكلام يخالف مقتضى الظاهر، وهذا الأمر تقتضيه خصائص بلاغية وأسرار ونكات ، يقصدها البلاغي كل حسب فهمه للسياق.

وخروج الكلام عن مقتضى- الظاهر من خلال الإظهار في مقام الإضمار، ومن صور الالتفات، ومن التعبير عن الماضي بالمستقبل وعكسه، وهذا ما يوضحه البحث في التطبيق على سورة آل عمران.

وحقيقة الأمر أن المسند إليه له ضوابط وقواعد بلاغية لا يخرج عنها، ولكنه قد يخرج عنها لفوائد ونكات بلاغية تراد من هذا الخروج أي: خروج الكلام عن مقتضى الظاهر ويعد هذا المبحث من أهم مباحث علم المعاني.

أما أسباب اختيار البحث فهي رغبتي الشديدة في دراسة البلاغة القرآنية للحصول على الثواب من الخالق سبحانه وتعالى، وأهمية دراسة ظاهرة خروج الكلام عن مقتضى_ الظاهر بوصفه من أهم الأساليب البلاغية في علم المعاني، وإثراء المكتبة البلاغية القرآنية بدراسة تتناول دلالات خروج الكلام عن مقتضى_الظاهر في سورة آل عمران، وأخيراً الاهتمام بأكثر من صورة لصور خروج الكلام عن مقتضى الظاهر، وبالنسبة للدراسات السابقة فلا توجد دراسة بهذه الظاهرة في سورة آل عمران تحديدًا.

وتكمن أهمية البحث بأن البلاغة العربية القرآنية من العلوم التي تشرف البلاغة العربية بدراستها ومن هنا هدفت في هذه الدراسة أن تكون دراستي لسورة آل عمران بتطبيق دلالات الخروج عن مقتضى_الظاهر في الكلام القرآني دراسة بلاغية، وأهداف البحث فهي ترسيخ الجذور القوية للبلاغة القرآنية في الدراسات البلاغية العربية، وإثبات تفرد النص القرآني في أنماط ونكات بلاغية لصور خروج الكلام عن مقتضى_الظاهر في البلاغة العربية ودلالتها في سورة آل عمران، كذلك إثبات بلاغة وإعجاز النص القرآني، وفيما يخص منهج البحث فقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن أسير على وفق لمنهج الوصفي التحليلي لعدد من صور خروج الكلام عن مقتضى_الظاهر في سورة آل عمران.، وخطة البحث تقتضي_ أن نقسمه إلى المقدمة وثلاثة مباحث، والخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة: تتناول أسباب اختيار الموضوع، وأهميته وأهدافه، والمنهج المتبع، وخطة البحث.

والمبحث الأول: دلالات الإظهار والإضمار في سورة آل عمران، ويتناول المطلب الأول: الإظهار والإضمار لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني: بلاغة الإظهار والإضمار، والمطلب الثالث: الإظهار والإضمار في سورة آل عمران.

والمبحث الثاني: دلالات الالتفات في سورة آل عمران، ويتضمن المطلب الأول: الالتفات لغة واصطلاحا، والمطلب الثاني نشأة الالتفات وبلاغته، والمطلب الثالث: دلالات الالتفات في سورة آل عمران.

والمبحث الثالث: دلالات الإنشاء في سورة آل عمران، والمبحث الرابع: دلالات القصر_في سورة آل عمران، أما الخاتمة: فتتضمن أهم نتائج البحث وأهم التوصيات وثبتًا بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: الإظهار والإضمار في سورة آل عمران

المطلب الأول: الإظهار والإضمار لغةً واصطلاحاً

أولا: التعريف اللغوي للإظهار: يشير أصحاب المعاجم العربية إلى أن مصطلح "الإظهار" يعبّر عن بروز الشيء ووضوحه، إذ يظهر بشكل ملحوظ ويبرز إلى الواجهة. فيتجلى ويكشف عن نفسه، ويتناقض ذلك مع مفهومي الإخفاء والإضمار (ابن فارس، ١٩٧٩م، ٤٧١/٣) ، و(ابن منظور، د، ت، ٥/ ٤٩١) .

التعريف الاصطلاحي للإظهار: يعد الإظهار تناقضًا ومقابلًا للإضمار، إذ يُعرف بإبداء اللفظ وتسليط الضوء عليه في السياقات التي تستغني عن الاستتار. يتم ذلك بهدف التعبير عن نكت بلاغية، يسعى المتكلم لتحقيقه (طبانة، ١٩٨٢م، ٥١١/٢).

التعريف اللغوي للإضمار: إنّه مصدر مشتق من الفعل "أضمر"، إذ يُفهم بمعنى الإضمار، أي القيام بالتخفي والاختفاء. قد أوضح ابن منظور هذا المفهوم بوصف "أضمرت الشيء" كفعل يعني إخفاؤه، وأوضح أنّ "أضمرته الأرض" يعني غيابه، سواء بسبب الموت أو الرحيل (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٤٩٢/٤).

التعريف الاصطلاحي للإضمار: يعرف الإضمار في الاصطلاح بأنه إسقاط الشيء لفظًا لا معنى فقال الكفوي في حده: الإضمار هو ما يترك ذكره في اللفظ، ويكون المقصود به بالضبط في النية (الكفوي، د.ت، ٣٨٤).

من يتتبع مصطلح " الإظهار في مقام الإضمار " أو عكسه عبر الأزمنة يجد أنه مصطلح بلاغي، جرى على ألسنة القدماء والمحدثين ومعناه: أن يكون السياق يقتضي_أن يؤتى بالضمير، ولكن يؤتى بالظاهر مكان الضمير والعكس صحيح ولقيت بلاغة الإظهار في مقام الإضمار " في القرآن الكريم عناية واهتماما بالغين من الأصفهاني، ولعل السبب في هذا الاهتمام يعود أساسا إلى عنايته بالبلاغة القرآنية؛ لأنها أساس في فهم النص القرآني.

وقد يعدل المتكلم من صيغة إلى صيغة أخرى لمعنى لغوي بحسب ما يقتضيه السياق والمعنى الدلالي، وكل اختلاف في الصيغة يتبعه اختلاف في المعنى، فيختار المبدع بحسه المرهف المعاني التي يكون أكثر دقة في التعبير عن قصده وأعمقها أثر في النفس لما تقدمه من دلالات وإيحاءات يفهمها المتلقي من خلال السياق، والحق أن كل عدول من صيغة إلى أخرى لا بد من أن يصحبه عدول من معنى إلى آخر، ويدل هذا العدول على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه البلاغي.

المطلب الثاني: بلاغة الإظهار والإضمار

الإظهار والإضمار من القضايا البلاغية التي اهتم بها علماء البلاغة ؛ فقد حرصوا على تقصي الاستعمال لكل من هذين الأسلوبين ـ الإظهار والإضمار ـ بغية التعرف على دلالة كل منهما داخل النص ، إذ يرد المسند إليه تارة مظهراً ، وأخرى مضمراً ، كما يكون المسند أيضا كذلك؛ فإن الاسم إذ ذكر أولا ، فلا يعاد مرة ثانية ، وإنما يذكر مضمرًا ؛ لأنه أوضح للمعاني وأوجز للفظ فإذا خالف هذا الأصل فلا بد أن تكون لنكتة بلاغية يقصدها المتكلم ، ولهذا تحدث الزمخشري عن بلاغة الإظهار في مقام الإضمار فقال : إذا تم نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، يُعتبر ذلك فعلاً فعّالًا في تحفيز نشاط السامع، ويشكل إيقاظاً لاهتمامه بدلالات الأسلوب المتنوع. يظهر هذا الإجراء كوسيلة مؤثرة لتحفيز الانصراف إلى الاستماع بانتباه، خاصةً عندما يتضمن التبديل بين أساليب متنوعة، ويمكن أن تكون المواقع المختلفة في النص متخصصة في إبراز فوائد محددة (الزمخشري، د.ت، ٥٦/١).

وقد وضح العلوي في كتابه الطراز بلاغة الإظهار في مقام الإضمار بقوله: ((واعلم أن هذا وإن كان معدودًا من علم الإعراب، لكن له تعلق بعلم المعاني، وذلك أن الإفصاح بإظهاره في الإضمار له موقع عظيم وفائدة جزلة)) (اليمني، د.ت، ١٤٨/٢)، ولقد وضع النحاة قاعدة ثابتة للضمير لخصها الزركشي ـ حين قال إن: المضمر يظهر فقط بعد الظاهر تعبيرًا وترتيبًا، إلا في سياقات ضمير الشأن والسرد، وباب نعم وبئس (الزركشي، ١٣٩١هـ، ٤١/٤-٤٢).

وينبغي أن نعلم أن هذه المخالفة –كما أشرنا –إنما هي لظاهر الحال، فالكلام وإن جاء مخالفا لما يتطلبه الظاهر، فإنه موافق لما يتطلبه المعنى في السياق، ويتطلبه المقام، ولا يظهر ذلك إلا لمن غوص في أغوار المعاني، وتغلغل بفكره في أعماق دلالات التراكيب، فهو الذي يتجلى له ما وراء مخالفة الظاهر من أسرار ومزايا وأهداف يقصد إلى تحقيقها.

ولهذا الخروج على خلاف مقتضى ـ ظاهر السياق أنماط عديدة: منها: وضع الاسم الظاهر موضع الاسم المضمر؛ وذلك أن الاسم الظاهر عندما يذكر في السياق، ثم يعاد هذا الاسم مرة أخرى، فإن أصل التركيب أن يعاد ذكره بنوع من الضمائر التي ترجع وترد على الاسم الظاهر المسبوق عليه، فإذا خولف ذلك، وعبر عن الضمير بالاسم الظاهر؛ فإنه يعد خروجاً عن أصل الكلام، وهذا الخروج يقتضيه أسرار وخصائص بلاغية، تتجلى لمن أنعم النظر في السياق ومقامه ، ولا شك أن النص القرآني لا تفسر ـ الجملة منه، أو اللفظة منفردة، وإنما يفسرها ما حولها من ألفاظ وجمل وآيات قد تمتد إلى النص القرآني كله، وهو ما نسميه السياق اللغوي، وقد يفسرها ما هو خارج عن النص القرآني.

ولقد ذهب الدكتور " مختار عطية " إلى اقتراح حلٍّ لهذه المشكلة عبر جعل كل ضمير يعود إلى الغائب اسم إشارة، إلا أن اسم الإشارة بحاجة، من الناحية المنطقية، إلى مرجع أو عائد. وبالتالي، يتعين علينا بالضرورة البحث عن هذا العائد الذي يتصل باسم الإشارة. (عطية، ١٩٩٠م، ١٢٣).

ولقد " لحظ البلاغيون أن دراسة وضع المظهر موضع المضمر، وعكسه، ودراسة الالتفات تتصل بباب المسند إليه؛ لأنها من أحواله فألحقوها به، كما لحظوا أن أساليبها مما لا تجري على مقتضى ـ المقررات المتعارفة، وإنما هي ضروب من المخالفة، فترجموا لها بخروج المسند إليه على خلاف مقتضى الظاهر" (محمد أبو موسى، ١٩٩٩م، ١٨٧).

المطلب الثالث: دلالات الإظهار والإضمار في سورة آل عمران

ومن دلالة الإظهار والإضمار في سورة آل عمران قوله تعالى: ﴿ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ التَّكَاثُرِ ﴾ (

آل عمران، الآية: ١٨٠). وعلق عليه الفراء بقوله: ((فلا يحسبن الباخلون أن البخل هو خير، فاكتفى بذكر يبخلون دون البخل، كما تقول في الكلام: قدم فلان فسررت به، وأنت تريد: سررت بقدومه، وقال الشاعر: إذا نهى السفيه جرى إليه وخالف والسفيه إلى خلاف

يريد إلى السفيه)) (الفراء، ١٩٨٣م، ٢٤٨/١-٢٤٩). ومن ذلك جاء أيضا عند سيبويه والأخفش والمبرد والزجاج والنحاس (الفراء، ١٩٨٣م، ٢٤٨/١-٢٤٩)، وهكذا يتحكم المعنى في مرجع الضمير، بل إن الضمير قد يعود على لفظ في الجملة، لكنهم يقدرون معناه مرجعا للضمير، فيقولون: إن الضمير عائد على معنى اللفظ في مثل قوله تعالى: ﴿ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْانشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ الْأَعْلَى الْغَاشِيَةِ الْفَجْرِ الْبَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ الْعَلَقِ الْقَدْرِ الْبَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ الْعَادِيَاتِ الْقَارِعَةِ ﴾

(آل عمران: ١٦٥)، وهذا ما رجحه الإمام سيبويه بقوله : " كأنه قال: ولا يحسبنّ الذين يبخلون البُخل هو خيراً لهم. ولم يذكر البخل اجتزاء بعلم المخاطَب

بأنه البخل، لذكره يبخلون " (سيبويه، ١٩٨٨م، ١/ ١٧٠)، وأشار أبو حيان: في "هو" بأنها الإضمار إلى المصيبة من حيث المعنى، وليس من حيث اللفظ (الأندلسي، ١٩٩٢م، ١٠٧/٣).وهناك دلالات إيحائية سياقية لوضع الظاهر موضع المضمر يهدف إليها الباحث في دراسته لبيان الإعجاز السياقي البلاغي فيها:

ومن ذلك قوله تعالى ﴿ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ ﴾ (آل عمران: ١٩) ،كان مقتضى الظاهر أن يقال:" من يكفر بآيات الله فإنه " بالمضمر لتقدم المرجع لكنه عدل عن هذا الظاهر، وأظهر الاسم الجليل الله لدلالة وخصوصية بلاغية التربية للمهابة وإظهار الروع في النفوس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ ﴾ (آل عمران: ٢٦)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال " تؤتيه " بالمضمر لتقدم المرجع لكنه عدل عن مقتضى الظاهر ، وأتى بلفظ الاسم الظاهر الملك لإفادة إزالة اللبس ، لأنه سبحانه وتعالى لو قال تؤتيه لأوهم أنه الأول ، ففائدة المظهر هنا الدلالة على إزالة اللبس حيث يوهم الضمير أنه غير الأول .

وهذا ما بينه الإمام السيوطي بقوله : " إن الإيتاء أقوى من الإعطاء في إثبات مفعوله لأن الإعطاء له مطاوع تقول أعطاني فعطوت ولا يقال في الإيتاء أتاني فأتيت وإنما يقال آتاني فأخذت والفعل الذي له مطاوع أضعف في إثبات مفعوله من الفعل الذي لا مطاوع له لأنك تقول قطعته فانقطع فيدل على أن فعل الفاعل كان موقوفا على قبول في المحل لولاه ما ثبت المفعول ولهذا يصح قطعته فما انقطع ولا يصح فيما لا مطاوع له ذلك فلا يجوز ضربته فانضرب أو فما انضرب ولا قتلته فانقتل ولا فما انقتل لأن هذه أفعال إذا صدرت من الفاعل ثبت لها المفعول في المحل والفاعل مستقل بالأفعال التي لا مطاوع لها فالإيتاء أقوى من الإعطاء قال وقد تفكرت في مواضع من القرآن فوجدت ذلك مراعى قال تعالى تؤتي الملك من تشاء لأن الملك شيء عظيم لا يعطاه إلا من له قوة " (السيوطي ، ١٩٧٥م ، ١/ ٥٧٢) .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ البَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ التَّكَاثُرِ ﴾ (آل عمران: ٢٩)، كان مقتضى الظاهر أن يقال بالمضمر على تقدير : " وهو على كل شيء قدير " لتقدم المرجع لكنه عدل عن هذا الأصل مقتضى الظاهر ، وأتى بالاسم الجلالة الله في الآية وقال سبحانه وتعالى : " والله على كل شيء قدير " وذلك لدلالة بلاغية التربية والمهابة وتهويل الأمر على تقدير وضع المظهر موضع المضمر ، وهذا يشير إلى أن الله قدرا على كل شيء في السموات والأرض فالله سبحانه وتعالى قادر وقدير ، والشيء مقدور عليه والله قدير على كل شيء .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّجِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلۡعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣١)، وهذه الآية من قبيل موضع المضمر موضع الظاهر فمقتضى الظاهر أن يقال :" وهو غفور رحيم " بالإضمار لتقدم الاسم الظاهر فعدل عن مقتضى الظاهر وأتى بالاسم الجليل وهذا لدلالة بلاغية الاستتباع لوصف الألوهية لإظهار الرحمة والمغفرة، وعبر سبحانه وتعالى بالاسم الظاهر الله بدلا من الضمير لمزيد من إيقاع التفخيم والتعظيم وتحقق المغفرة والرحمة .

ومن وضع المظهر موضع المضمر قوله تعالى : ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ المَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ (آل عمران: ٧٤)، وكان مقتضى الظاهر أن يقال وهو يختص برحمته من يشاء بالإضمار لتقدم المرجع لكنه عدل عن هذا المقتضى ، وأتى بالاسم الظاهر وهذا نتيجة لخصوصية بلاغية للإيذان بفخامة مضمونيها ، وكون كل منها مستقلة بشأنها ، فإن الإضمار في الثانية منبئ عن توقفها على الأولى ، وأتى بالاسم الظاهر الله في موضع الضمير هو لأن تخصيص الناس بالخير دون غيرهم مناسب للألوهية ، كما أن هذه الآية تضمنت حذف مفعول المشيئة لدلالة ما قبله عليه ، وجاء حذفه يساهم في بنية التعبير بالضمير بدلا من الاسم الظاهر لدلالة اختصاصه سبحانه وتعالى بالرحمة فالله سبحانه وتعالى أراد الخير لنبيه وللمؤمنين ، وإن كانوا لا يريدونه ، ويختص برحمته من يشاء اختصاصه بالرحمة .

ويتضح من السياق النص للآية الكريمة أننا نفسر كلمة ﴿ بِسْمِ ﴾ بمعنى: يحرّفون: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (آل عمران:٧٨)، ولتظنوا أن الذي يحرّفونه ويغيرونه بألفاظهم ومعانيهم من القرآن الكريم وأنه منزل من عند الله. وأن الله سبحانه وتعالى يقرر بأن هذا التحريف والتغيير والتبديل الذين أحدثوه في القرآن ليس من عند الله بل من عند أنفسهم وزعمهم بالباطل فليس هذا التحريف والتبديل من عند الخالق الذي نزله على أنبيائه عليهم جميعا الصلاة والسلام، فالقرآن الكريم محفوظ بحفظ الله له قال تعالى: ﴿ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ ﴾ (الحجر:٩)

ويقول عز وجل: ﴿ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ (آل عمران:٧٨)، ويتضح من السياق النصي لهذه الآية أن الكفار دائما يقصدون ويتعمدون الكذب والافتراء على الله والرسول صلى الله عليه وسلم فمن يتأمل في نظم النص القرآني المعجز بلفظه ومعانيه وتراكيبه وصوره يجده من عند الله وليس لأحد من البشر فيه بلفظ أو بدلالة فالله يقول: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ ﴾ ويؤكد الخالق هذا الكلام بقوله تعالى: ﴿ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ ، ومن ينعم النظر في النص القرآني يجد أن الخالق سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة كرر كلمة الكتاب ثلاث مرات وبهذا أتت الآية على خلاف مقتضى الظاهر لأنه سبحانه وتعالى لو أجرى الكلام على الأصل لقال في الآية الكريمة وجاء تقدير الكلام.

يلوون ألسنتهم بالكتاب ؛ مصرحا في الأولى الاسم الظاهر ، ثم يضمره في الجملة الثانية ويكون التقدير لتحسبوه منه ، ثم يضمره في الجملة الثالثة وتأتي مقدرة بقوله تعالى : " وما هو منه " ، في حين جاء التركيب الثاني في قوله تعالى : ﴿ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾إذ كرر الله سبحانه وتعالى لفظ الجلالة مرتين الأولى هو من عند الله ، والجملة الثانية وما هو من عند الله " وجاء الكلام على غير مقتضى الظاهر لأن مقتضى الظاهر أن يقول سبحانه وتعالى : ويقولن هو من عند الله بذكر لفظ الجلالة الله الاسم الظاهر وكان مقتضى الكلام أن يقول سبحانه وتعالى وما هو من عنده ، لكنه عدل من الضمير إلى الاسم الظاهر لنكتة بلاغية هي التأكيد والتعميم للتهويل من فعلهم وقولهم بدون وجه حق فذكر لفظ الجلالة مرتين للاهتمام بالخبر المتعلق بها (الرازي، د.ت، ١٠٨/٨) و (البقاعي، ١٩٩٢م، ٤٦٥/٤) و (القزويني، ١٣٠٦هـ، ٥٢/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٥/٣) و (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٣/٣).

ويتضح من سياق الآية ومقامها أن الإظهار في موضع الإضمار في الآية القرآنية الكريمة للتهويل من أفعالهم وأقوالهم وتحريفهم وادعائهم أنه من عند الله وهو ليس من عند الله وإنما من عند أنفسهم ولهذا أتت الآية القرآنية للتخويف والترهيب من هذا الصنيع ونسبته هذا التحريف ظلما وبهتانا إلى الله وافتراء بالكذب والباطل على خالقهم ولهذا كذبهم الله تعالى وتوعدهم بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة، ولما كان كلام الله ـ سبحانه وتعالى ـ له من الجمال والهيبة في النفوس بحيث لا يلتبس بغيره من الكلام إلا على فاقد العقل والقلب معا، ولهذا عبر النص القرآني بلفظ " لِتَحْسَبُوهُ " فالحسبان من أجل التنفير من الاستماع والسماع لمثل هؤلاء المكذبين الضالين ، ولقد أدى السياق اللغوي في وضع الإظهار موضع الإضمار ولذلك جاء التعبير بالمضارع في تلك الأفعال: ﴿ بِسْمِ ﴾﴿ صدق الله ﴾ للدلالة على تجدد ذلك.

ويحتمل أن يكون اللَّيُّ في قوله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ مجازاً عن صرف المعنى إلى معنى آخر، كقولهم لوى الحجة، أي: ألقى بها على غير وجهها، وهو تحريف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الباطلة، والأقيسة الفاسدة، والموضوعات الكاذبة، ويضيفون ذلك إلى الله جل قدره، وأياً ما كان، فهذا اللَّيُّ يقصدون منه التمويه على المسلمين (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٢/٣).

وأضيف أيضا وجها بلاغيا في تفسير هذه الآية الكريمة أن جملة: "وَهُمْ يَعْلَمُونَ" جملةٌ حالية قُدِّمَ فيها المسند إليه على المسند الفعلي لتقوية الإسناد فيها وتأكيده، لأنّ مقتضى الحال يستدعي التقوية والتأكيد ؛ والسبب في ذلك أنّ هؤلاء كانُوا يكتبون مكتوبات يزعُمُون أنَّها ممّا أنْزَل اللهُ في الكُتُب على رسُلِهِمْ، ويتخذون مع ذلك حيلةً لترويج ما كتبوه وافتروهُ على اللهِ بغية أن يقبله عوامُّهم، وهي أن يَلْوُوا ألْسِنَتَهُم به لدى تلاوته، كما يفعلون لدى تلاوة ما أَنْزَل الله من كتاب، فيخلطون المدسوس الذي هو من افترائهم بالأصل الصَّحِيح، للإيهام بأنّه من كتاب الله، وهم بذلك يقولون على اللهِ الكذب، ويعلمون ذلك من أنفسهم.

ومن وضع الإظهار موضع الإضمار قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر الرحمن الواقعة الحديد المجادلة الحشر الممتحنة الصف الجمعة المنافقون التغابن الطلاق التحريم الملك القلم الحاقة المعارج نوح الجن المزمل المدثر القيامة الإنسان ﴾ (آل عمران: ٢٨)، ويتضح من السياق النصي للآية أن سياق الإظهار وضع موضع سياق الإضمار في قوله تعالى: ﴿ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران:٣٠)، وقد تقدم بيان ذلك في قوله تعالى:﴿ المعارج نوح الجن المزمل ﴾ فقد تكرر لفظ الجلالة الله مرتين ومقتضى السياق أن يرد لفظ الجلالة في الأولى اسمًا وفي الثانية ضميرًا ولكنه عدل من الضمير إلى الاسم الظاهر لنكتة بلاغية هي إظهار المهابة والتربية .

وقد يكون بوضع الاسم الظاهر موضع الاسم المضمر؛ لدلالة الإشعار باستتباع وصف الألوهية لطلب المغفرة ونيل الرحمة من الخالق ، كما في قوله تعالى: ﴿ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴾ (آل عمران:٣١)، وهذا ما رجحه الإمام أبو السعودي بقوله : إن وضع اسم الله سبحانه وتعالى الله في الجملة الأولى في قوله تعالى: ﴿ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴾ (آل عمران:٣١)، جاءت في موضع الضمير؛ للدلالة السياقية على استشعار الألوهية التي تمنح الرحمة والمغفرة وهذا ما يستشعره الناس من الرحيم ، وبهذا يتأكد التعبير بدلالة المظهر على دلالة موضع المضمر؛ لـ " لإشعار باستتباع وصف الألوهية للمغفرة والرحمة (العمادي، د.ت، ٢٥/٢).

والإظهار موضع الإضمار يوضحه السياق النصي في قوله تعالى: ﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴾ ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف ﴾ (آل عمران:١٩)، ففي قوله تعالى : ﴿ النساء المائدة الأنعام الأعراف ﴾ فهذه الجملة القرآنية جاءت قائمة مقام فعل جواب الشرط ؛ للدلالة على العلة فهي كالعلة بالنسبة له وتقدير الكلام من يكفر يعاقبه الله تبارك وتعالى فالله سريع الحساب وهذه الجملة القرآنية وردت غير مطلقة لأنها قيدت بالإضافة من أجل نكتة بلاغية هي مزيد من الوعيد والتخويف والتهديد .

ففي قوله تعالى: ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف ﴾إذ ذكر لفظ الجلالة الله مرتين ولكن النظم القرآني أتى على خلاف مقتضى الظاهر ، لأن مقتضى الظاهر يستدعي أن يقال ومن يكفر بآيات الله فإنه سريع الحساب ولكن الله سبحانه وتعالى عدل عن الضمير إلى الاسم الظاهر لغرض بلاغي هو الوعيد والتهديد بأن من يخطئ فإن عذاب الله واقع وسريع ، ويتضح في هذه الآية الكريمة الإظهار موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف ﴾ ومن خلال سياق هذه الآية الكريمة يتضح أن إظهار لفظ الجلالة موضع الإضمار؛ تربية للمهابة، وسرعة دخول التخويف والروعة في نفوس الكفار عقابا لكفرهم وتكذيبهم لآيات الله، دون التعرض لحالهم من الكفر والضلال والتكذيب بعد تعرضهم للقرآن الكريم وتعرضهم له وعلى الرغم من ذلك يكذبون الله ورسوله فهذا دليل على الغي والجهر بالمعصية ولهذا يعاقبون أشد العقاب في الدنيا والآخرة (العمادي، د.ت، ١٠٧/٣).

وقد يأتي الإظهار في موضع الإضمار لمزيد من العناية بالمظهر، كما في قول الله جل جلاله: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (آل عمران:١٤١)، فإظهار لفظ الجلالة هنا مع تقدم ذكره في آخر الآية السابقة في قوله تعالى: ﴿ المنافقون التغابن الطلاق التحريم ﴾ (آل عمران:١٤٠). إبراز مزيد الاعتناء بحالة التمحيص.

وقد يكون سياق الإظهار في موضع الإضمار؛ " الثناء والمدح "، كما في قوله سبحانه: ﴿ الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت الشورى الزخرف الدخان الجاثية الأحقاف محمد الفتح الحجرات ق الذاريات الطور النجم القمر ﴾ (آل عمران:١٤٦)، ويمكننا أن نفهم من كلام البغوي أن يرجع القتل إلى النبي ذاته فيأتي إتمام الجملة القرآنية في قوله

تعالى : ﴿ يبَنٓ ﴾ ويتضح من الآية الكريمة الإضمار وتقديره في الآية الكريمة ومعه ربيون كثيرون فخرج عن الأصل الظاهر إلى الضمير في كلمة معه ، والوجه الثاني الدلالي في الآية الكريمة على تقدير أن ينال القتل من النبي ومن معه من جموع (البغوي، ١٩٩٩م، ١١٦/١)، ومما يرجح دلالة الإظهار في موضع الإضمار قول الإمام الألوسي في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلطَّٰلِوتَ ٱلنَّجَمِيرَ ٱلْقَتَمِيرَ ﴾ (آل عمران:١٤٦)، وهذه الجملة القرآنية من قبيل وضع الظاهر موضع المضمر فهي بهذا خرجت من أصل معناها إلى خلاف مقتضى الظاهر لبيان الثناء والمدح لمن صبر من المسلمين وفيه فائدة بالشعور بسبب العلة لهذا الحكم الإلهي ، كما أن هذه الجملة القرآنية جاءت للتأكيد لمضمون الجمل السابقة على سبيل الإطناب ونوعه التذييل للسياق النصي السابق عليها (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٥٦/٢)، ويتضح من سياق كلمة ﴿ ٱلْقَتَمِيرَ ﴾ وعلاقتها بما قبلها وبعدها أن يكون، والله يحبهم؛ وذلك لبيان المدح للربيين ببيان حالهم من الصبر وهذا يعد علة وسببا للحكم التي سيقت الآية الكريمة من أجله.

وقد يكون سياق وضع الظاهر موضع سياق المضمر " لزيادة العظمة "، كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسۡمِ ﴾(آل عمران:٥٤)، لما كان المقام في الخطاب الرباني؛ لزيادة العظمة، أوثر الإظهار على الإضمار فقال: ﴿ العظيم بِسۡمِ ﴾ وفعل المكر من أفعال الخديعة والضر المخفي على الإنسان المكور عليه، كما يدل المكر على تغيير حالة الإضرار بصورة النفع فعل يقصد به ضر أحد في هيأة تخفى عليه، أو تلبيس فعل الإضرار بصورة النفع بما فيه من أساليب الإخفاء والمكر والخداع والاحتيال والتضليل بالغير ولهذا حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من الخداع والمكر وكأنها مسوقة للتخويف من اتباع هذا النهج من النصب والمكر.

ودلالة الآية الكريمة وسياقها ومقامها تشير إلى بيان حالة من حالات خداع ومكر اليهود لكي ينالوا من المسيح عليه السلام حتى يتمكنوا من قتله ، وجاء المكر في جانب الله لكي يقضي ويلغي مكر اليهود فلا يتجرأ أحدا على مكر وخداع الله ، وفي هذا بيان للتنفير من اتباع هذا المسلك من الخداع لأن عاقبة الخداع والمكر ترجع على الشخص الذي يحاول الخداع والمكر ، وهذا اعتراف وتقرير بأنه لن يضر أحد من المكر والخداع إلا بإذن الله كما بنى حالة المكر على البناء الشرطي فدل السياق أن اليهود أعملوا الخداع والاحتيال للنيل من نبي الله بقتله (الحلبي، ١٩٩٤م، ١٤٤/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٣/٣) .

فقد يكون سياق التعبير بالمظهر موضع سياق المضمر " لتعميم دلالة الحكم"، كما في قوله عز وجل: ﴿ ﴾ (آل عمران:٣٢)، ويتضح من سياق الآية الكريمة ومقامها أن طاعة الله ورسوله واجبة في تنفيذ أمره والابتعاد ونبذ النواهي ، والسياق يرجح بلاغة الإعجاز في هذه الآية الكريمة ومن بلاغتها ما ذهب إليه إمام المفسرين الألوسي الذى ذهب في رجيح الظاهر على المضمر عن طريق خروج الكلام عن قتضى الظاهر على سبيل الالتفات لغرض بلاغي وخصوصية بلاغية هي إظهار الطاعة مع الشعور بسببها وعلتها وهذه الآية الكريمة تنفي شبه الرد على اليهود والنصارى بضرورة اتباع عيسى عليه السلام لكونه رسول الله ، ففي قوله تعالى : ﴿ ﴾ والمقصود من دلالة الكافرين الذين تولوا وصرح بالاسم الظاهر بدل إضماره فلم يقل سبحانه وتعالى : إن الله لا يحبهم لبيان الإيذان بأن الابتعاد عن طاعة الله سبحانه وتعالى كفر وجحود ولهذا فالله يكره الكفار ولا يحبهم ونفى سبحانه وتعالى الحب عن الكافرين ، واثبت الحب للمؤمنين (الألوسي، ١٩٨٥م، ٤٩٣/٢) ، والالتفات محسن لا يحتاج إلى نكتة لأنه واضح بدلالة السياق النصي، فإيثار دلالة سياق الإظهار على موضع دلالة سياق الإضمار في قول الله تعالى: ﴿ ﴾ فهذا أسلوب يشمل ويعم كل الكفار وهذا من قبيل السخط حيث سخط الله على الكافرين بسبب كفرهم، ودلالة هذا الخروج عن مقتضى الظاهر توحي بالإيذان بأن الخروج عن الطاعة كفر، وبأن محبته عز وجل مخصوصة بالمؤمنين (البيضاوي، د.ت، ١٤/٢) و (القزويني، ١٣٠٦هـ، ٢٥/٢).

وإيثار هذا الاسم الظاهر على الاسم المضمر جاء ليلتفت لتعيين الطاعة والشعور بطاعتها وبيان العلة من الطاعة، وهذا طاعة لله وطاعة للرسول، وما تستدعيه الرسالة ودواعيها من موجبات الطاعة لله وللرسول (البيضاوي، د.ت، ٦٩/٢) و (القزويني، ١٣٠٦هـ، ٢٥/٢).

وقد عبر بالاسم الظاهر من الاسم المضمر دليل على بيان العلة في الحكم مع ضرورة مراعاة للفواصل القرآنية وهذا ما يطلق عليه مراعاة لرؤوس الآيات كما في قول الله عز وجل ذكره: ﴿ ٱلْقَتَمِيرَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلْوَاقِعَةِ ٱلْحَدِيدِ ٱلْمُجَٰدِلَةِ ٱلْحَشْرِ ٱلْمُمْتَحَنَةِ ٱلصَّفِّ

الجُمُعَةِ ﴾ (آل عمران:٧٦)، بيان الغاية في وضع الإظهار موضع الإضمار في الآية، فلابد من أن تعرض الباحثة للضمير في قوله: "عَهْدِهِ "؛ لأن في بيان الاسم الظاهر دلالة لجلاء الأمر وبياناً له ؛ فرجوع الهاء في عهده تعود إلى الله سبحانه وتعالى والذي يرجح ذلك ما جاء من السياق اللغوي لمراعاة السابق باللاحق، فمرجعه، قيل: " مَنْ "، وقيل: يعود إلى الله سبحانه وتعالى، فهو يحتمل وجهين : الوجه الأول المصدرية المضافة للمفعول أو للفاعل وهذا يتطلب ضميرا يعود على " من " فهذا الاسم الظاهر يقام مقام الاسم المضمر في الربط بين لفظ المتقين ولفظ من أوفى ، وهذا دال على العموم والشمول في لفظ المتقين ، وإنما وضع سياق المظهر موضع سياق المضمر؛ تسجيلاً على الموفين بالعهد بالتقوى، وهذا لمراعاة الفاصلة القرآنية ورأس الآية (الحلبي، ١٩٩٤م، ١٤٤/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٣/٣).

وقد جاء الضمير يعود على الله سبحانه وتعالى؛ لأن الحرف" بَلَى " من الحروف التي يكثر في جواب الاستفهام المنفي، ولكنه في سياق هذه الآية الكريمة جيء به في الجواب يتضمن دلالة العموم والشمول ليحتوي هذه الدلالة المقصودة وغير المقصودة بعبارة تتسم بالإيجاز والقصد في اللفظ والمعنى لدلالة الأمانة على العهد وقد عبر بالجملة المذيلة في قوله تعالى: " فإن الله يحب المتقين " تذييلا لتأكيد مضمون الجملة قبله (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٨٩/٣).

وفي هذا الشاهد السابق دليل على ذكر اسمين في السياق اللغوي ويعود الضمير إلى أحدهما وهنا يلجأ النحاة والمفسرون إلى تفسيرات نحوية وأخرى دلالية في تحديد مرجع الضمير، وقد تجرهم تلك التفسيرات الدلالية إلى اللجوء إلى ظروف خارج النص القرآني هي سياق الحال فيحكمونها في المرجع.

وقد يكون التعبير بوضع الاسم الظاهر وضع الاسم المضمر للدلالة على التعميم في الحكم كما في قول الله عز وجل: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ (آل عمران:٣٢)، فإيثار الظاهر على المضمر في قوله تعالى: " فَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ" خرج عن مقتضى الظاهر لإفادة نكتة بلاغية لشمول الحكم المتعلق بجميع الكفار فلا يستثنى منهم واحدا ولهذا سخط الله عليهم بسبب كفرهم ومع ذلك إيذان بأن التخلي عن طاعة الله ورسوله كفر حقيقي عقابه النار ، وهذا في مقابل البينة التضادية الموجهة للمؤمنين فمحبتهم لله وللرسول توجب الجنة للمؤمنين وهذا يدل على التخصيص (البيضاوي، د.ت، ١٤/٢) و (القوجوي، د.ت، ٦١٨/١-٦١٩) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ١٣٠/٣)، وترجيح الاسم المظهر على الاسم المضمر بطريق بالالتفات.

وقد يوضع الظاهر وضع المضمر " للتوكيد ولقصد الاهتمام بالمذكور "، كما في قوله تعال:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴾ ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ ﴾ (آل عمران، الآية:٧٨)، فمن يتأمل السياق النصي في هذه الآية الكريمة يدرك أن الله ـ عز وجل قال في:﴿ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ ﴾ وقال: ﴿ العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ ، حيث كرر لفظ الكتاب ثلاث مرات ، فلو جرى على الأصل لقال في الأولى : يلوون ألسنتهم بالكتاب؛ لتحسبوه منه ، وما هو منه ، وفي تقدير الجملة الثانية:﴿ العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾ فقد خرج الكلام عن مقتضى الظاهر عن طريق العدول من الضمير إلى الاسم الظاهر فالأصل في الكلام أن يقول هو من عند الله ، وما هو من عنده ؛ ولكنه سبحانه وتعالى خرج بهذا إلى الاسم الظاهر للفت انتباه السامعين لمزيد من الاهتمام والتوكيد من التصريح بالتعميم والشمول وللتهويل (الرازي، د.ت، ١٠٨/٨) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٢٠٥/٣) و (بن عاشور، ١٩٨٤م، ٢٩٣/٣).

ويوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على بيان الإحسان، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ الْإِنسَانَ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الْإِنفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الْإِنشِقَاقِ الْبُرُوجِ الطَّارِقِ ﴾ (آل عمران:١٤٨)، يتضح من السياق النصي للآية الكريمة أنه سبحانه وضع الاسم الظاهر موضع الضمير لغرض بلاغي هو الإحسان للمؤمنين في أقوالهم وأفعالهم .

وقد يكون العدول على خلاف مقتضى الظاهر في عدوله سبحانه وتعالى من الاسم الظاهر للاسم المضمر للدلالة على التربية للمهابة كما في قوله عز وجل : ﴿ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ﴾ (آل عمران:١٥٥)، أعيد لفظ الجلالة في الآية الكريمة في قوله: " إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ " مع تقدم ذكره قبل ذلك بقليل في قوله:" وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ" وكان يكفيه أن يقول: وهو غفور رحيم، أو وهو الغفور الرحيم؛ وذلك لتربية المهابة، وتأكيد التعليل (القزويني، ١٣٠٦هـ، ١٠٣/٢)، واشتملت هذه الآية الكريمة على أدب رفيع مع الله سبحانه وتعالى، وذلك عندما لم تنسب المعاصي لله سبحانه وتعالى، وإنما نسبت إلى الشيطان؛ تأدباً مع الله سبحانه، وهذا دأب القرآن الكريم، كما في قول صاحب موسى: ﴿ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾ (الكهف:٦٣)، إذ إن الله تعالى هو الغني عن الجميع، وهذا ما أكده علماء السنة في نفي وجود الشر المطلق في الله تعالى، فإن العفو قد تجلى في الآية الكريمة، فقد نص الله على ذلك بقوله: ﴿ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ ﴾ وذلك كتجلي لعناية الله بعباده الصالحين (بن عاشور، ١٩٨٤م، ١٤١/٤).

كذلك وضع الظاهر موضع المضمر في قوله تعالى: ﴿ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾ (آل عمران:١٧٩) ؛ لغرض بلاغي هو إفادة التربية للمهابة ، إذ أطلق سبحانه وتعالى الاسم الظاهر الله في هذا السياق النصي في قوله تعالى : ﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ﴾ ، وتكراره في الجملة الثانية في قوله تعالى : ﴿ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ﴾ كما بينت سابقا لغرض بلاغي التربية والمهابة، فالمعنى ما كان الله ليترك المخلصين على الاختلاط بالمنافقين، بل يرتب المبادئ حتى يخرج المنافقين من بينهم، وما يفعل ذلك باطلاعكم على ما في قلوبهم من الكفر والنفاق، ولكنه تعالى يوحي إلى رسوله عليه السلام، فيخبره بذلك بما ظهر منهم من الأقوال والأفعال حسبما حكى عنهم بعضه.

وقد يكون التعبير بالظاهر دلاً من المضمر " لكمال العناية بالمظهر "، كما في قوله تعالى: ﴿ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ ﴾ (آل عمران:١٩١)، إذ لم يتعرض النظم هنا لاختلاف الليل والنهار، ولَمْ ينظم في سلك التفكير كما سلك في الآية السابقة؛ لعل السبب في ذلك؛ للإيذان بظهور اندراجه في خلق السماء والأرض وما يتبعها من أحوال .

المبحث الثاني: دلالات الالتفات في سورة آل عمران

المطلب الأول: الالتفات لغةً واصطلاحاً

الالتفات في اللغة: ورد لفظ "لفت" في المعاجم العربية بمعانٍ متنوعة، فمنها "لفت الوجه عن الناس" وهو الابتعاد عنهم، وكذلك "التفت التفاتا"، ويُشير لفظ "تلفت إلى الشيء" إلى الالتفات إليه وتحويل وجهه بعيدًا عنه. يُستخدم أيضًا في تعبير "لفت فلاناً عن رأيه" للدلالة على تحول الرأي إلى اتجاه آخر، ويتضمن ذلك الالتفات والابتعاد عن الرأي الأول إلى رأي جديد. يتداول هذا اللفظ للتعبير عن التغيير أو الاهتمام باتجاه مختلف (مطلوب، ١٩٨٣م، ٤٧٣/٢).

الالتفات في الاصطلاح: وفي مفهوم علماء البلاغة، يُستخدم مصطلح "الالتفات" بناءً على تأثيره في التفاعل بين الأفكار، إذ يستمد من مفهوم التفات الإنسان عن يمينه وشماله. وهكذا، يمكن فهم الالتفات في سياق البلاغة كالانتقال بين صيغ مختلفة، على سبيل المثال، الانتقال من صيغة الخطاب إلى صيغة الحاضر أو الغائب، أو العكس من ذلك (ابن الأثير، د.ت، ١٦٧/٢).

ولقد أشار علماء النحو إلى تقسيم الفعل من حيث الزمان إلى ثلاثة أقسام الفعل من الماضوية والمضارعية والأمرية فالفعل الماضي، ما دل زمنه على وقع الحدث في الزمن الماضي بينما الفعل المضارع، ما يدل على أن الحدث واقع في زمن المستقبل والحالية فإذا وردت صيغة الأفعال على هذا التقسيم فهذا هو أصل التقسيم الزمني للفعل وهذا يقتضي أن الفعل ورد على مقتضى الظاهر ، فإذا ورد الفعل خالف ذلك يكون قد ورد على خلاف مقتضى الظاهر فينزل المضارع منزلة الماضي ، والماضي منزلة المضارع وهذا ما يطلق عليه علماء البلاغة أن الأفعال وردت على خلاف مقتضى الظاهر ، وهذا الأمر لا يقع إلا في كلام الله ويكون لغاية ونكتة بلاغية وهذا ما يتطلبه السياق .

وذهب ضياء الدين بن الأثير، إلى أن مخالفة المقتضى- لظاهر صيغ الأفعال يعد من أسلوب الالتفات حيث رأى أن الالتفات: هو العدول والالتفات والانتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر كالانتقال بطرق الانتقال من الخطاب إلى الغيبة والعكس وغير ذلك من انتقالات وفقا لما يستدعيه سياق الكلام والخروج على خلاف مقتضى- الظاهر مع الكشف عن النكات البلاغية والخصوصيات البلاغية لهذا العدول والأسلوب البياني وجعلها من أبواب الالتفات في الدرس البلاغي (بسيوني فيود، ١٩٩٠م، ٢٩٧/١).

نعم، فالخلاف في كون هذا الأسلوب من الالتفات، أو من غيره لا طائل من ورائه؛ لذا ترى الباحثة كثيراً من الباحثين المحدثين يضربون عنه صفحاً، فيؤتي بالمضارع مكان الماضي؛ لإحضار صورة الفعل أمام السامع، حتى كأنه يشاهده، وليس بمقدور الفعل الماضي تصوير الحدث، وإحضاره في ذهن المتلقي، لأن المستمع قد يتصور فعلاً قد مر عبر الزمن من حالة المضي، وقد لا يستحضر أنماطه وأشكاله.

المطلب الثاني: نشأة الالتفات وبلاغته

أسلوب الالتفات يعد ضربًا مميزًا من ضروب البلاغة يعد يتسم بأسلوبه الفريد وجماليته الخاصة. يقوم بناء هذا الأسلوب، على حد تأكيد البلاغيين، على العدول من أسلوب في الكلام إلى آخر يتعارض معه، ويعد انحرافه عن النمط المألوف أساسًا لقيمته البلاغية. يتميز الالتفات بأنه ظاهرة أسلوبية تقوم على انتقال معنوي، وليس مجرد تغيير لفظي، مما يترك أثرًا عميقًا في النفس، ويظهر الالتفات بكثرة في القرآن الكريم نتيجة لتحفيزه للحركة الذهنية الناتجة عن التحول بين تراكيب مختلفة، ويعد ذلك كله عدولًا عن المقتضى- الظاهر، أي المألوف والمعتاد، الذي اكتسب ثقة وشهرة. إن تجاوز هذا المقتضى- يعد وعًا من الالتفات الذي يُظهر بمختلف أساليبه، إذ خرج عن النمط المتعارف عليه في الكلام العام لأغراض بلاغية أو تسليط الضوء على جوانب معينة (مطلوب، ١٩٨٣م، ٤٧٣/٢).

وأسلوب " الالتفات " من الأساليب البلاغية المهمة والأكثر انتشارًا في الشعر العربي قديمًا وحديثا ، كما موطنه النثر سواء في القرآن الكريم أم الأحاديث النبوية ، وكلام العرب ، وبلاغته تأتي من خلال ربط الصيغ بالسياق البلاغي ، وقد فطن البلاغيون قديمًا وحديثًا لهذا الأسلوب، وإن اختلفوا في المصطلح البلاغي ، فقد أشار إليه " الفراء " (النحاس، ١٩٨٨م، ١٩٥/١)، وتناوله " أبو عبيدة " في كتابه " مجاز القرآن "، إذ أشار إليه بوصفه مجاز انتقل من مشاهدة المخاطب إلى مشاهدة الغائب كما في قول الله تعالى:﴿ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ﴾ (يونس:٢٢)، أي بكم (أبو عبيدة، ١٩٨١م، ١١/١)، ومن خلال تتبع التاريخ البلاغي لهذا المصطلح الأسلوبي نجد أن " الأصمعي " أول من استخدم هذا المصطلح وأطلقه عليه، قد ذكر " العسكري " عن " الصولي "، قال: قال " الأصمعي ": أتعرف التفاتات " جرير "؟ قلت: لا، فما هي؟ قال: أَتَنْسَى إِذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى بِعُوْدِ بِشَامَةٍ سُقِي البَشَامُ (الصاوي، د.ت، ٥١٢)

ألا تراه مقبلاً على شعره، ثم التفت إلى البشام، فدعا له (العسكري ١٩٨٦م، ٣٩٢).

فيطلق " الأصمعي " الالتفات على أسلوب الكلام الذي ينقله المتكلم إلى المتلقي فيشعر المخاطب أن متكلمه قد أنهى هذا التعبير الأسلوبي ثم يستخلص المتكلم هذا التعبير الأسلوبي وينتقل إلى معنى ودلالة أخرى فيحدث الالتفات والانتقال إلى معنى جديد مغايرًا لما تم ذكره فيما تقدم ذكره.

وجاء " ابن المعتز " فقسم الالتفات على نوعين: النوع الأول: الذي ينصرف الخبر فيه من المتكلم إلى المخاطب، وما يضارع ذلك – وهذا هو ما عرف بالالتفات في الاصطلاح البلاغي عند علماء البلاغة حيث ينتقل ويلتفت المتكلم من دلالة إلى دلالة جديدة لم تذكر في سابقتها (ابن المعتز ١٤١٠هـ، ١٥٢-١٥٣)، وهذا يراد به تلوين العبارة، ويمكن أن يدخل فيه الاستطراد.

ويتضح مما سبق أن علماء البلاغة يعدون أسلوب الالتفات من فنون علم البديع وهم ليسوا في ذلك على صواب، لأنهم في تصريف ضروب الكلام فيه تجديد نشاط المتلقي للكلام وفيه تقليب بين الإنشاء والخبر مرة والخطاب والتكلم والغيبة مرة أخرى.

ثم بدأ الالتفات يأخذ معنى دقيقاً، بعد أن استقرت علوم البلاغة، وقد عرّفه "الفخر الرازي" بقوله: إنه يتمثل في الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، أو العكس (الرازي، ١٩٨٩م، ٢٠٣) ، وأورد "السكاكي" هذا النوع بعد أن استعرض حال المسند إليه في ميدان "علم المعاني". وفي تعليقه قال: "إن هذا النوع، أي نقل الكلام من الحكاية إلى الغيبة، لا يختص المسند إليه بشكل حصري، ولا بالشكل المطلوب، بل يشمل الحكاية والخطاب

والغيبة، حيث يمتد هذا النقل بين كل واحدة من هذه الأنواع إلى الأخرى، وقد أُطلق عليه هذا النقل اسم "التفات" من قبل علماء "علم المعاني" (السكاكي، ١٤٠٧هـــ، ١٩٩)، وترجع الفائدة الأسلوبية والبلاغية لظاهرة الالتفات إلى أنه أحد طرق العرب في التفنن في الأسلوب؛ لجذب الانتباه، وإيقاظ النفس وتطريبها، وبعث النشاط فيها، وهذا هو ما يريد المتكلم (الزمخشري، د.ت، ١٤/١).

لكن " ابن الأثير "، لم يوافق على رأي الزمخشري فقام برده ونقده، وبين أن العلة في الالتفات ليس كما نقله " صاحب كتاب الكشاف؛ لأن الأسلوب وانتقاله من دلالة إلى دلالة جديدة ومن صيغة على صيغة ليس لتطرية السماع وجذب الانتباه وهذا قدح في كلام المتكلم ويعلل ذلك لأن المخاطب يمل من الأسلوب الواحد فلا بد من انتقال والتفات من صيغة إلى أخرى.

ولو سلمنا لـــ " الزمخشري " برأيه لكان موطن الالتفات في الكلام المطول والقصائد؛ ولكن الالتفات على النقيض من ذلك، إذ يرى أسلوب الالتفات في الحديث الموجز والعبارة القصيرة وخير شاهد على ذلك آيات من النصوص القرآنية.

وقد أشار " ضياء الدين بن الأثير " صاحب كتاب المثل السائر إلى أن مفهوم الانتقال والالتفات عند الزمخشري يستعمل لهدف المخالفة، لا ذهاباً للأفضل، وبناء عليه فلو رأينا كلاماً وحديثًا قد استعمل فيه جميعه الإيجاز أو الإطناب، ولم ينتقل عنهما، وكان كلاهما واقعاً موقعه، قلنا: هذا ليس بحسن، إذ لم ينتقل فيه من أسلوب إلى أسلوب، وهذا قول فيه ما فيه، ثم يستنكر على " الزمخشري " ذهابه إلى هذا التعليل على الرغم من فصاحته وبلاغته وبيانه، ثم يذكر " ابن الأثير " تعليله المرتضى لحسن الالتفات، فيقول: وفيما يخص هذا الأمر، أنا أرى أن الانتقال من الخطاب إلى الغيبة، أو العكس، لا يكون إلا في حالة استفادة مبررة، وتلك الاستفادة تكون أمرًا يفوق حدود الانتقال بين الأساليب. إذ لا يتم تحديد هذه الفائدة بحدٍّ محدد أو تقييد بضابط محدد، بل يُشار إلى الموقع الذي تكون فيه تلك الفائدة ليُقاس عليها ويُقارن بها غيرها (ابن الأثير، د.ت، ١٨٢/٢).

وقد ذكر " ابن أبي الحديد " هذا الاعتراض، وقام بتفنيده، ويمكن إيجاز رده في النقاط التالية: أولاً: أن ملل السامع من الكلام الذي ألقاه المتكلم، لا يستوجب ذمه ورداءته، بل على العكس والنقيض من هذا ، فالملل في الأسلوب عند السامع لا نجده إلا من خلال الكلام الملذ وخير شاهد على ذلك أن الإنسان يمل من الإكثار من أكل الحلوى ولا يمل من أكل الشيء غير الجيد ، وثانياً: لما كان مراد وهدف المتكلم لأسلوب الالتفات والانتقال إفهام المخاطب ، وهذا الشيء لا يكون إلا بالإصغاء ولهذا لجأ المتكلم إلى الاحتيال لتحقيق إصغاء المخاطب لكلامه بأي شكل من أشكال التحايل ، فكان من تلكم الطرق الالتفات بشتى طرقه؛ ليجد السامع ما يوقظه، ويحثه على الاستماع؛ ولفرط العناية بالإفهام نجده يقع في قصير الكلام وطويلة حسب ما تقتضيه المصلحة، ثالثاً: أن " الزمخشري " لم يكتف حسن الكلام بالتقييد بالالتفات فقط، بل أشار إلى أن الالتفات يعد أحد الوسائل التي يتحاكى بها العرب، وأوضح أن الغرض من استعماله هو توجيه نوع من التنبيه إلى المستمع، مما يجدد نشاطه ويحفزه للاستماع بانتباه إلى الخطاب. ومع ذلك، أكد أن عدم وجود الالتفات في كل خطاب لا يعني بالضرورة عدم جودة الخطاب. بمثابة توضيح للفكرة، استعمل موازنة بين حسن استعمال المطابقة والتجنيس في الشعر وبين وجود تجنيس أو مطابقة في كل قصيدة لا يعني بالضرورة جمالها (ابن أبي الحديد، ١٩٨٤م، ٢٠٩ وما بعدها) ، وكلام " ابن الحديد " وجيه، ولا غبار عليه.

وإذا ما استثنينا " ابن الأثير "؛ فإنا نجد البلاغيين والمفسرين، متفقين على الأثر الفني، الذي تناوله الإمام الزمخشري لأسلوب الالتفات، ولكن يرجع الاختلاف عند علماء البيان في مصطلح الالتفات، فجمهور البلاغيين يقصرون أسلوب الالتفات على الالتفات والانتقال التكلم والخطابية والغيبة إلى كل منها، في حين أن السكاكي " ومن سار على نهجه يتوسعون فيه، فيجعلون الالتفات والانتقال من دلالة إلى دلالة آخر لم يأت حسب ما يقتضيه الظاهر، بل يخرج على خلاف مقتضى الظاهر.

ولا شك أن مذهب " السكاكي " ومن تبعه أكثر اتساعاً من مذهب الجمهور، وعلى هذا فكل التفات - عند الجمهور – هو التفات عند "السكاكي"، وليس كل التفات عند " السكاكي " التفاتاً عند علماء البلاغة.

وبلاغة الالتفات التي أشار إليها " الزمخشري " نجدها فائدة شمولية وعامة لكل أنواع الالتفات فضلا عن أن كل التفات له دلالاته وخصوصيته البلاغية والتي تختلف على حسب السياق وما يستدعيه المقام.

وفيما يخص هذا الأمر، في هذا السياق، يتضح من وجهة نظري أن التحول بين الخطاب والغيبة، أو العكس، يجب أن يكون استنادًا إلى فائدة مبررة، حيث تتجاوز هذه الفائدة حدود التغيير في الأساليب. وما يميز هذه الفائدة هو عدم تحديدها بشكل دقيق أو قيود محددة، بل تتم الإشارة إلى الموقع الذي تظهر فيه هذه الفائدة، مما يتيح لنا تقييمها ومقارنتها بغيرها من الحالات (اليمني، د.ت، ٧١/٢)

المطلب الثالث: دلالات الالتفات في سورة آل عمران

ومن صور الالتفات في سورة آل عمران قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيْدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُوْنَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيْمِ

الْمُلْكِ الْقَلَمِ الْحَاقَّةِ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، وموضع الالتفات في السياق النصي للآية هو قوله تعالى : " إلا أن تتقوا منهم تقية ويحركم الله نفسه " وهذا أسلوب خطاب وقد أتى بالخطاب بعد الغيبة في قوله تعالى : " لا تتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء " ، وهذا أسلوب والتفات إلى الغائب كما ذكر الطاهر بن عاشور بقوله : " إلا أن تتقوا أي صيغة الخطاب بطريق الغيبة استثناء مفرغ من أعم الأحوال والعامل في النهي معتبرا فيه الخطاب أي لا تتخذوهم أولياء في حال من الأحوال إلا حال تقاتكم " (الطاهر بن عاشور ،١٩٩٧م ، ٣/ ٧٤) ، كما تضمنت هذه الآية الكريمة نهيا من الخالق من موالاة الكافرين، وهذا بدون سبب يغضب الله تعالى.

وقد ورد الالتفات في سورة آل عمران ويحمل دلالة " التعظيم " كما في قوله سبحانه: ﴿ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ ﴾ (آل عمران:٤٥)، حيث التفت الله ــ سبحانه وتعالى ـ في هذه الآية الكريمة من طريق الغيبة إلى طريق التكلم في قوله:" نُؤْتِهِ "، وفي " وَسَنَجْزِي "، وجاءت هذه الالتفاتة من أجل التعظيم، المستفاد من نون العظمة.

وقوله تعالى في ذات الآية: ﴿ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ في الآية الكريمة أسلوب قصر حاصل بالنفي والاستثناء وهو من باب قصر الصفة على الموصوف فما كان الموت يحصل لأي نفس إلا بالمشيئة الإلهية لله تعالى، وبهذا جاء الإذن مجازًا، لكونه من لوازمه، أو على تقدير إلا بإذنه سبحانه وتعالى لملك الموت في قبض الروح، ويتضح من السياق النصي أنه هذه الآية الكريمة مسوقة للتمثيل في تصوير الموت بالنسبة إلى النفس بصورة الفعل الانزياح الاختياري، والذي لا يمكن للفاعل إيقاعه والإقدام عليه، وجلبه للنفس بدون إذنه تعالى، أو بتنزيل إقدامه على مبادئ القتال بمنزلة الإقدام بالنسبة للموت على وجه من المبالغة في الوصول للمراد، فإن موت النفوس، إذ استحالت وقوعها عند قدومها على النفس ، وفي مجيء النظم على هذا السياق تحريض على القتال، وفيه دلالة على بلاغة القرآن، حيث التفنن في أساليب الإقناع.

ومن يتمعن في نظم سياق الآية الكريمة يدرك قدرة الخالق سبحانه وتعالى في إحكام الموت فهو الذي أحاط بكل شيء علماً، فكم من إنسان رغب في إنهاء حياته عن طريق الانتحار بشتى الوسائل، ولكن مسعاه لم يفلح، وذلك لأن الله لم يأذن له بالموت، فسبحانه الخالق العالم القدير.

وقد يكون الالتفات " لتربية المهابة "، كما في قوله تعالى: ﴿ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ ﴾ (آل عمران:١٤٠) ، وقد وقع الالتفات في قوله تعالى: ﴿ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ ﴾ نلحظ استعمال حرف (قد) الداخل على الفعل الماضي الذي أفاد التحقيق ‘ي إن القرح قد تحقق لهم كما تحقق لكم أيضاً والتعبير عما أصاب المسلمين بصيغة المضارع يمسسكم لقربه من زمن الحال وعما أصاب المشركين بصيغة الماضي لبعده لأنه حصل يوم بدر فضلاً عن تقديم المفعول به (القوم) على الفاعل (قرح) لأن الاهتمام بالقوم وليس بالقرح وفي ذلك تسلية للنبي صلى الله وسلم وأصحابه ، كما انتقل والتفت رب العزة سبحانه وتعالى من طريق التكلم في قوله تعالى:" نُدَاوِلُهَا " إلى طريق الغيبة في قوله تعالى:" وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ " ولو جرى على الأصل لقال: ولنعلم الذين آمنوا؛ ولكنه التفت وانتقل إلى الغائب ، كما أسند صفة العلم إلى الله للدلالة على المهابة وحسن التربية ، وإدخال الخوف والروع في النفوس، ولبيان أن كل فعل يسند إلى الخالق سبحانه وتعالى فهو صادر عن علم أزلي قديم فهو يعرف حقيقة الشيء منذ أن خلقها بل وقبل خلقها فالعلم سابق وأزلي .

وقد يكون سياق الالتفات مرتبطًا بدلالة التعظيم، كما يظهر في استخدام كلمة ﴿ الطُّورِ ﴾ إذ قام الخطاب الرباني بالانتقال من الغيبة في "إِنْ يَمْسَسْكُمْ" إلى التكلم، وذلك بهدف تعظيم الفعل. ولو كان الالتفات قد تم على الأصل لكان اللفظ مختلفًا قليلًا، مثل "يداولها (الحلبي، ١٩٩٤م، ٢/٢١٧)و (الأندلسي، ١٩٩٢م، ٣/٣٥٤)؛ وعلى هذا الأصل وردت قراءة شاذة، واكتسب الالتفات بلاغة باستخدامه صيغة المضارع في قوله تعالى: " إِنْ يَمْسَسْكُمْ "؛ فهذه الصيغة المضارعية أفادت حالة القرب من زمان الحال؛ وذلك لأن الآيات نزلت بسببها، بينما عبر عما أصاب المشركين بصيغة الماضي في قوله: " فَقَدْ مَسَّ "؛ لبعده؛ لأنه حصل يوم بدر، وإنما جاء الحديث عنها للعبرة والعظة كما أشار إلى ذلك سياق الآية الكريمة.

ومن صور التعبير بالخطاب بعد الغيبة التفاتا لأنه مخالف لظاهر السياق، وكان مقتضى السياق اللغوي أن يلتزم طريق الغيبة حتى يكون الكلام كله على سياق واحد ومن هذا الالتفات قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ (آل عمران:٥٥) وقد أدى هذا الالتفات دورًا وبلاغة وجمالًا وإعجازًا عن طريق ربط مقام وسياق هذه الآية الكريمة للتدليل على المبالغة في التهديد والزجر لمن يزدجر ، إذ قال سبحانه مخبراً بالحشر، والبعث: قوله تعالى :﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ، والمعنى إلى حكمي، وهو من الانتقال والالتفات من الغائب إلى الخطاب، وذلك لأن الله قد أشار في السياق النصي إلى اليهود وتكذيبهم لله ثم أوضح وعقب على ذلك بقوله تعالى ﴿ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ ﴾ ولكنه التفت على طرق الخطاب للجميع ؛ ليكون الإخبار أبلغ في التهديد، وأسد زجراً لمن يزدجر، وقد أفاد السياق اللغوي بتقديم الجار والمجرور في قوله﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ من قوله: ﴿ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ للحصر المفيد لتأكيد الوعد والوعيد، وذكر لفظة ﴿ الشَّيْطَانِ ﴾ و ﴿ ﴾ بضمير المتكلم؛ ليعلم أن الحاكم يوم الجزاء والحساب من لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء سبحانه وتعالى.

وترك أسلوب الغائب إلى أسلوب المخاطب، ليس لمجرد الاتساع في اللغة أو التصرف في اللفظ بل الأمر أعلى والغرض أسمى وذلك كأن يكون الالتفات " لدلالة للإنكار "، كما في قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ (آل عمران:٨٠).

ومن دلالة الالتفات في سورة آل عمران دلالة الإنكار إذ التفت النظم الكريم من الغيبة في قوله: ﴿ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ (آل عمران:٧٩)إلى الخطاب في قوله تعالى ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ (آل عمران:٨٠)؛ وهذا الالتفات والانتقال أسهم في بيان إنكار من زعم أن عيسى عليه السلام قال للناس خصوني بالعبادة من دون الله وهذا الرد على المكذبين جاء بالخطاب لمواجهتهم بالافتراء على الله وعلى عيسى عليه السلام .

وقد يكون الالتفات " لبيان الجلال والجمال من مصدري لفظ التعذيب ولفظ الإثابة ومن ذلك قوله تعالى:﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الْأَنْعَامِ الْأَعْرَافِ الْأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ ﴾ (آل عمران:٥٦-٥٧)، ففي هذا النظم التفاوت من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى :﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ

﴾ ومعنى هذا أن الله ـ سبحانه وتعالى ، أعطى للصالحين وللمحسنين الجزاء الذي يليق بهم فلا ينقص شيئا منه بل يزيد في الجزاء من فضله سبحانه وتعالى كما وعدهم بذلك فالله سبحانه وتعالى يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها والله يضاعف لمن يخصه بذلك ترغيبا في العمل الصالح وهذا من تفضل الخالق على عباده ، ويتضح من السياق النصي للآية الالتفات – كما أسلف البحث – للإيذان بما بين مصدري التعذيب والإثابة من الاختلاف، ففي الأول الإهانة، وفي الثاني التكرمة ورفعة القدر، ولبيان فداحة جرم هؤلاء الكفرة، إذ إن الجبار سبحانه وتعالى أنه المختص بتعذيب من أذنب مع بيان إهانتهم وعلى النقيض من ذلك فالجزاء الذي ينتظر المؤمنون الفوز بالجنة.

وقد يكون الالتفات؛ لـ " لحث على الإقرار، وذلك حين المواجهة بالأمر، كما في قوله تعالى: ﴿ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَهَ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمَٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ ﴾

(آل عمران:٨١-٨٢)، حيث التفت الخطاب الرباني الكريم من سياق الغيبة في قوله:﴿ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ ﴾ إلى سياق الخطاب في قوله:﴿ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ ﴾ (آل عمران:٨١)، فالآية الكريمة جاءت في مقامها متضمنة السياق الحالي لبيان الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه من أول نوح وما تلاه من أرسل وأنبياء و ما من نبي يبعث، ثم يسمع بمحمد إلا آمن به، وانضم تحت لوائه، وفي هذا تكريم وتشريف وتعظيم لمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ ولهذا جاء النظم القرآني يذكر بالأمم السابقة من الأنبياء وما أخذهم عليه من العهد والميثاق ، ففازوا بسعادة الدارين، وكفى بها سعادة، ولهذا نرى النظم الرباني الكريم يؤكد هذا الأمر، فيذكرهم بهذا الميثاق بطريق الالتفات؛ لكي يسارعوا إلى الإقرار فقال: ﴿ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ ﴾

وقد يكون الالتفات لدلالة زيادة في النكال، وتأكيداً للوعيد والإنذار "، كما في قوله تعالى: ﴿ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ البَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ التَّكَاثُرِ ﴾ (آل عمران:١٨٠)، فيتضح من السياق القرآني لنظم هذه الآية الكريمة أنها التفت في سياق الغيبة إلى سياق الخطاب في قوله ﴿ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ ﴾ وذلك زيادة في النكال، وتأكيد للوعيد والإنذار؛ ولأن منصب النبي العظيم في غاية النزاهة، انتقل الأسلوب من الخطابية إلى الاتباع، وهذا على قراءة أغلب جمهور قراء القرآن الكريم كما أن هذه الآية الكريمة لا تعد من الالتفات على قراءة " ابن كثير وأبي عمرو " بياء الغيبة " يعملون " (الزمخشري، د.ت، ٤٤٦/١) و (الرازي، د.ت، ١١٦/٩) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ١٤٠/٤).

وجاء الالتفات في قوله تعالى بصيغة الخطاب في قوله ﴿ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ ﴾ بعد أن سبق السياق النصي بصيغة الغائب في قوله تعالى ﴿ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ ﴾ وهذا لغاية بلاغية أن الخطاب أبلغ في الوعيد من صيغة الغيبة ولهذا التفت سبحانه من صيغة الغيبة إلى صورة الخطاب لتكون أقرع في الأذان وأنفذ في القلوب .

وقد حكى أبو بكر أحمد بن موسى التميمي البغدادي اختلاف العلماء في قراءة (يعملون) فقال :((قرأ أبو عمرو وابن كثير والله بما يعملون خبير بالياء ، وقرأ نافع وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي والله بما تعملون خبير بالتاء)) (أبو بكر أحمد العباس ، ١٤٠٠هـ ، ٢٢٠) .

وقد يكون الالتفات لـ " إظهار كمال الاعتناء بمن التفت إليه "، كما في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ (آل عمران:١٩٥). إذ التفت النظم الكريم في قوله تعالى: " أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ" من الغيبة إلى المتكلم والخطاب ؛ لإظهار كمال الاعتناء بشأن الاستجابة، وتشريف الداعين بشرف الخطاب، والمراد تأكيدها – أي الاستجابة – ببيان سببها، والإشعار بأن مدارها أعمالهم التي قدموها على الدعاء، لا مجرد الدعاء، وتعميم الوعد لسائر العاملين، وإن لم يبلغوا سائر درجة أولو الألباب ؛ لتأكيد استجابة الدعوات المذكورة في الآيات التي قبل هذه الآية (العادي، د.ت، ١٣٤/٢) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ١٦٨/٤).

ومن الالتفات قوله تعالى:﴿ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانْفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانْشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ ﴾ (آل عمران:٩)، وعدل الله ـ سبحانه وتعالى ـ من سياق الخطاب إلى سياق ضمير الخطاب ﴿ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ ﴾ إلى الغيبة ﴿ الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ ﴾ ؛ وكان مقتضى المقام أن يقول سبحانه وتعالى " إنك لا تخلف المعاد " فعدل من الخطاب للغيبة في قوله تعالى " إن الله لا يخلف الميعاد " للدلالة إلى تشريف وتفخيم و تعظيم الموعود ؛

والإجلال من ذكر يوم القيامة ، وهذا يتوافق مع السـياق اللغوي ببيان حلة الاشـعار بسـبب وعلة الحكم. (الرازي، د.ت، ١٨٢/٧-١٨٣) و (الأندلسي، ١٩٩٢م، ٣٤/٣) و (الألوسي، ١٩٨٥م، ٩١/٣)

وهذا ما رجحه صاحب كتاب المحرر الوجيز بقوله: " يحتمل أن يكون إخباراً منه محمداً عليه السلام وأمته، ويحتمل أن يكون حكاية من قول الداعين، ففي ذلك إقرار بصفة ذات الله تعالى، و " الميعاد " مفعال من الوعد. (ابن عطية، ٢٠٠٠م، ١/ ٣٨٤)

ومن دلالات التعبير بالماضي عن المستقبل في سورة آل عمران تأمل كلمة ﴿ مريم ﴾ من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور ﴾ (آل عمران:٥٨)، حيث عبر بصيغة الاستقبال ﴿ مريم ﴾ ولم يقل: تلوناه، مع أن الملاحظ من السـياق النصي– للآية أن الفعل تم في الزمن الماضي، وذلك فالقرآن يريد أن يسـتحضر– الصـورة في ذهن المسـتمع مع التجديد والاسـتمرارية ؛ حتى كأن المتلقي يشاهد هذه الصورة ؛ اعتناء بها .وإضافة التلاوة إلى الله سبحانه وتعالى مع أن التالي هو سـيدنا جبريل للتكريم والتفخيم والتشريف له، حيث انتقل بهذه الصورة من صورة التلاوة للآمر إلى صورة التلاوة للمأمور .

ومـن ذلك كلـمـة ﴿ فصلت ﴾في قـوله: ﴿ الشعراء النمل القصص العنكبوت الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر يس الصافات ص الزمر غافر فصلت ﴾ (آل عمران:٥٩)، ولا بد من الإشـارة إلى المعنى السـياقي؛ لهذه الآية لأنه خَلَقَه مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَه كُنْ فَيَكُونُ وهذا دلالة لا تكون إلا بعد تكوين الخلق؟ وهي تدل على بدء الخلق، ثم الإخبار بهذا الخلق، ثم الأمر له كن فكان من غير مراعاة الترتيب في الخلق قيل معناه، ثم خلقه، ثم أخبركم أني قلت له: كن فكان من غير ترتيب في الخلق كما يكون في الولادة وخير شاهد على هذا خلق آدام عليه السلام، ثم خلق عيسى عليه السلام (البغوي، ١٩٩٩م، ٤٧/٢).

والسـياق النصي– لهذه الآية يوضح لنا العدول بصـيغة المضـارع المقترن بالفاء دون الماضي إذ قال:" فَيَكُونُ" دون " فكان "، وإن كان هو المتبادر إلى الذهن في أول الأمر، وذلك لاستحضار الصورة في حالة التكوين وهذا يشير إلى أن الأمر جاء من غير تخلف في الاستجابة لهذا الأمر، وهذه الدلالة هي التي عبر عنها بصيغة المضارع، وذلك كقوله تعالى: ﴿ الروم لقمان السجدة الأحزاب سبأ فاطر ﴾ (فاطر:٩٠)، وحمله على غير هذا المعنى لا وجه له (البقاعي، ١٩٩٢م، ٤٢٧/٤) و (القزويني، ١٣٠٦هــــ، ٤٥/٢) و (ابن قيم الجوزية، ١٩٧٥م، ١٨٧/٣) و (رضـا، د.ت، ٢٦٣/١).

وتأمل كذلك كلمة ﴿ ﴾﴿ ﴾ من قوله تعالى: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سورة الفاتحة البقرة آل عمران النساء المائدة الأنعام الأعراف الأنفال التوبة يونس هود يوسف الرعد إبراهيم الحجر النحل الإسراء الكهف مريم طه الأنبياء الحج المؤمنون النور الفرقان الشعراء النمل القصص العنكبوت ﴾ (آل عمران:١٥٢)، حيث أفادت ﴿ ﴾ دلالة سياقية للمضي، وأتى بعدها بسياق المضارع ﴿ ﴾ وذلك لإفادة التجدد في الماضي ، وبيان الصورة واستحضارها في النفس .

وأفادت أداة الشرط والظرفية دلالة سياقية ﴿ ﴾ في قوله تعالى: ﴿ ﴾ اسم للزمان، وهو مسـتعمل في الزمن المسـتقبلي، وقد يخرج على خلاف مقتضى الظاهر للتعبير عن مطلق الزمن كما في هذه الآية الكريمة، ولعل نكتته في ذلك أنه أريد استحضار الصورة العجيبة؛ تبعاً لقوله: ﴿ ﴾ (ابن عاشـور ، ١٩٨٤) ، وهذا يدل على ضرورة ربط السـياق القرآني بالسـياق اللغوي من أجل معرفة العدول في الصـيغ، والمراد بالعصيان في هذه الآية الكريمة مخالفة أوامر الرسـول (ﷺ) ولهذا جاء الترتيب في هذه الآية على النحو الآتي ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ويتضـح أن هذا الترتيب جاء ووقع على حسب مراعاة حصول الفعل ومراعاة للرتبة في الحصول ؛ وهذا ما بينه السياق الحالي لهذه الآية الكريمة من خلال مراعاة الأحداث فالفشـل نابع من ضيق الرماة من استمرارهم في مكانهم والطمع في المكاسب المادية من العدة والعتاد ، فالفشـل والطمع والتنازع مع التصميم على المفارقة في الموقف الذي أمرهم به النبي من خلال الالتزام بمكانهم ولهذا جاءت الأحداث مرتبة وفقا للزمن في ترتيب الخبر ، وهذا غاية البلاغة وما يقتضيه السياق من العدول في الصيغ الخاصة بالأفعال (الرازي، د.ت، ٣٧/٩) .

والعدول عن ذكر الغنيمة باسمها الصريح، والتعبير عنها بالاسم الموصول ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ يُشير ذلك إلى تنبيه حول العجلة في طلب المال المحبوب. يتم استعراض هذا السياق كمقدمة لبيان العذر في مفارقة المكان والمخالفة الناتجة عنها، نتيجةً لسرعة الاندفاع للمال المرغوب، وتظهر الصياغة اللفظية كوسيلة للتعبير عن سلسلة الأحداث، بدءًا من الفشل والتنازع والعصيان، وصولاً إلى طلب الشهادة. ويظهر قوله تعالى: ﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ المَائِدَةِ ﴾ كإشارة إلى الإبراز لعظم هذه المعصية والمخالفة، وللتنبيه إلى فظاعتها. وعندما اقترفوا هذه المخالفة، عاشوا تجربة الذل والهوان من قِبَل الله، لكن عندما استجابوا لنداء الحق، نالوا الشهادة وحققوا الكرامة والنصر(الرازي، د.ت، ٣٨٧/٩-٣٨٨)، وأثبت الجار في قوله:﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ البَقَرَةِ ﴾ تصويراً للمخالفة، بأنها كانت عقب رؤية النصر سواء، وتبشيراً بزوالها، وقوله: ﴿ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ ﴾ تفصيل لما أجمل في ﴿ ﴾ وتبيين لـ ﴿ ﴾ وتخصيص له بأن العاصيين بعض المخاطبين المتنازعين؛ إذ الذين أرادوا الآخرة ليسوا بعاصين؛ ولذلك أخرت هذه الجملة إلى بعد الفعلين، وكان مقتضى الظاهر أن يعقب بها قوله: ﴿ ﴾ ﴿ ﴾ وفي هذا الموضع للجملة ما أغنى عن ذكر ثلاث جمل، وهذا من أبدع وجوه الإعجاز.

المبحث الثالث دلالات الإنشاء الطلبي

وهو ما يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب ، كالأمر ، والنهي ، والنداء ، والتمني ، والاستفهام ، ووجه انحصاره في هذه الأنواع ؛ لأنه إما أن يقتضي كون مطلوبه ممكناً أو لا ، الثاني التمني ، والأول إن كان المطلوب به حصول أمر في ذهن الطالب ، فهو الاستفهام، وإن كان المطلوب به حصول أمر في الخارج ، فإن كان ذلك الأمر انتفاء فعل النهي ، وإن كان ثبوته فإن كان بإحدى حروف النداء فهو النداء ، وإلا فهو الأمر (التفتازني ، ١٣٣٠هـ ، ٢٢٥)، وهذا النوع هو ما عُني به البلاغيون ، وحفلوا به وذلك لما انطوى عليه من أثر في الكلام ، وما يضفيه عليه كل نوع من أنواعه من فوائد ونكات ، على ما سيتبين من خلال نظم بعض آيات هذه السورة الكريمة .

النوع الأول: دلالات الأمر:

ويعلم دارس البلاغة العربية أن الأغراض السياقية التي يخرج إليها أسلوب الأمر متعددة، وهي تفهم من السياق ويكتفي الباحث بدراسة بعضها لأن غايته أن يُبين علاقة السياق بالأساليب وعدوله عنها وأثره في تحديد المعنى، ففي أسلوب الأمر لا بد من مراعاة وتأمل السياق لأنه هو الذي تستقي منه الصيغة دلالتها، وقد ذكر البلاغيون أن الأمر يعدل إلى معان كثيرة غير معنى طلب حصول الفعل، وتفهم هذه المعاني من سياق الكلام وقرائن أحوال المصاحب، وحال المخاطب، وما يقتضيه السياق.

والأصل: في الأمر أن يكون لطلب الفعل على سبيل الإلزام، فيكون للممتثل الثواب وللتارك العقاب، وهذا مقتضى القواعد الأصولية التي ترى بأن الأمر للوجوب إلا أن يأتي ما يصرفه عن ذلك، ومن الأغراض البلاغية والمجازية البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر وفقا لطبيعة السياق التهكم ومن ذلك قوله تعالى:﴿ غَافِرِ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمَنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ ﴾ (آل عمران: ٢١) .

يقول الزمخشري:" فهو من العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه كما يقول الرجل لعدوه أبشر بقتل ذريتك ونهب مالك: (الزمخشري، ١/ ٤٢٠)

ومما جاء وفقاً لهذا الأصل قوله تعالى: ﴿ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ ﴿ ﴾ (آل عمران: ١٢)، فقد يعدل أسلوب الأمر عن معناه الوضعي إلى معان أخر تثير في ذهن المتلقي إيحاءات شتى منها التهديد والوعيد فالله - سبحانه وتعالى - في هذه الآية الكريمة يأمر نبيه (ﷺ) أن يقول للكافرين على سبيل النذارة والتهديد بأنهم سيغلبون ، ويقتلون ، ثم أمرهم صائر إلى الله تعالى حيث سيصليهم جهنم ، وجيء في هذا التهديد بأطنب عبارة وأبلغها ؛ لأن المقام مقام إطناب لمزيد الموعظة والتذكير، ومن ينظر في نظم هذه الآية الكريمة، يلحظ أنها اشتملت على خبرين: الأول : الإخبار بغلبة الكفار في الدنيا ، والثاني: بحشرهم إلى النار في الآخرة.

وقد قدم الخبر الأول على الثاني في الذكر لتقدم وقته؛ لأنه في الدنيا بينما الثاني في الآخرة، وقد وقع الإخبار الأول وهذا من معجزات النبي؛ لأنه إخبار على الغيب (الباقلاني، د.ت، ٣٤)

وكذلك قوله تعالى: ﴿ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيْدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُوْنَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيْمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوْحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ ﴾ (آل عمران : ١٥)، حيث يأمر الله نبيه محمداً (ﷺ) أن يخبر هؤلاء القوم بأن ما أعد الله لعباده المتقين خير من هذه الشهوات المذكورة في قوله عز وجل: ﴿ طٰهٰ الأَنْبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُوْنَ النُّوْرِ الفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوْتِ الرُّوْمِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّوْرَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ ﴾ (آل عمران: ١٤) حيث الخلد، وكفى به من نعمة، وطيب العيش في جنات عدن مع الخيرات الحسان.

وقوله أيضاً: ﴿ ٱلرَّحِيمِ صَدَقَ ٱللَّهُ ٱلْعَظِيمُ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٣١) حيث صدرت الآية بأمر رباني من الله سبحانه إلى رسوله بامتحان هؤلاء القوم بأن محبة الله مقرونة بحبه فمن أحب الله لزمه محبة رسوله فإن كنتم تزعمون محبة الله فاتبعوني ، وذلك لأن محبة الله لا تنال إلا عن طريقي باتباع ما أمرتكم به ، والانتهاء عما نهيتكم عنه ، ونلحظ هنا أن الرسول يخاطب هؤلاء القوم بصيغة الأمر فيقول : " فَاتَّبِعُونِي "، وهو بلا شك أمر للوجوب والغرض منه النصح والإرشاد ؛ وذلك لأن دعوة الأنبياء لازمة لقومهم ، ليس لهم أن يتخلفوا عنها ، وإلا لما حصل العذاب والهلاك لمن خالف في ذلك .

والمرجع في معرفة هذه المعاني هو ملاحظة السياق وقرائن الأحوال والذوق وحسن الفهم بالتراكيب ومقاصدها البلاغية وما تحتويه النصوص القرآنية من ألفاظ دقيقة، ومعان عميقة تفهم من السياق وترشد إليه الحال التي قيل فيها؛ لآن المبدع في بنائه الفني أراد أن يطلعنا على تعدد الأساليب وخروجها من حالة إلى أخرى فقد يعدل من هذا المعنى على معان آخر تلفت انتباه المتلقي الذي يسمع أسلوب الأمر.

النوع الثاني: دلالات النهي

النهي: هو النوع الثاني من أنواع الإنشاء الطلبي، وهو كما عرفه البلاغيون: "عبارة عن قول ينبئ عن المنع على جهة الاستعلاء " (العلوي ،١٩٩٠ م، ٣/ ٢٨٤)

وسورة " آل عمران " حفلت بالكثير من صيغ النهي، بعض منها جاء على الأصل، وهو طلب الكف على جهة الاستعلاء، وبعضها يفيد معانٍ أخرى تستفاد من مستتبعات التراكيب، فما جاء على هذا الأصل قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّوْرِ النَّجْمِ القَمَرِ الرَّحْمٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيْدِ المُجَادِلَةِ الحَشْرِ المُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُوْنَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيْمِ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوْحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنْسَانِ ﴾ (آل عمران: ٢٨)، فالنهي في قوله تعالى : ﴿ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ ﴾، جاء من الحق تبارك وتعالى لعباده المؤمنين ، فهو من الأعلى إلى الأدنى، فهو نهي جاء على الأصل ، أي : أن اقتراف الفعل والتلبس به مؤذن بعذاب الله سبحانه وتعالى ، كف لا ، وهو يمس جانباً مهماً من جوانب العقيدة ، وهو الولاء والبراء ، فالحق تبارك وتعالى ينهي عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء دون المؤمنين يلقون إليهم بالمودة ، مع علمهم عداوتهم لهم وسعيهم الحثيث في سبيل النيل منهم بشتى الوسائل بالإخراج أو القتل أو صدهم عن دينهم ؛ ليرجعوا كفاراً ؛ فتكونون سواء ، ومن تنكب هذا النهي وارتكس في حمأة مولاة أعداء الله ، فليس من الله في شيء من النصرة والتأييد ، وربما نقله ذلك إلى الكفر إن اعتقد حل فعله ، أو ناصر أعداء الله على أوليائه ، إلا إن كان فعله ذلك تقية من أولئك القوم لقوتهم وغلبتهم ؛ فلا يؤاخذ في ذلك إن كان قلبه مطمئناً بالإيمان ومحبة عباد الله المؤمنين ، ولكن ليكن ذلك مقروناً بالحذر لله سبحانه وتعالى ، وليتذكر أن مرجعه إليه وأنه مجزي بما يضمره قلبه لا ما ظهر على جوارحه .

وقوله تعالى : ﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنْكَبُوْتِ الرُّوْمِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّوْرَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتْحِ الحُجُرَاتِ ﴾(آل عمران: ٦٠)، فالحق تبارك وتعالى ينهى حبيبه وخليله محمداً عن الشك في أمر عيسى- في أمر الألوهية، وذلك بسبب أنه ولد بلا أب، فيجعله ذلك يرفعه فوق منزلته كما ينظر في حال النبي ومعرفته بربه سبحانه وتعالى ؛ يدرك أنه يستحيل على النبي أن يصدر منه هذا الأمر أو هذا الامتراء ، فالخطاب وإن كان للنبي إلا أن المقصود التعريض بالنصارى أي نصار نجران الذين امتاروا في أمر عيسى- (حتى جعلوه في منزلة فوق منزلته ، فزعموا زوراً وبهتاناً أنه الله ، أو أنه ابن الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

وقوله تعالى: ﴿ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ ﴾(آل عمران: ١٠٥) ، وجاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾(آل عمران: ١٠٤) ،ومن الملاحظ أنه لما أمر بذلك في الآية الأولى أكده بالنهي عما يضاده ممن نزلت هذه الآيات فيهم من أهل الكتاب مبكتاً لهم بضلالهم واختلافهم في دينهم على أنبيائهم ، فترى الحق عز وجل ينهى أتباع هذا النبي الخاتم محمد ، وهم أكرم الخلق عليه أن يكونوا مثل من قد خلوا قبلهم من اليهود والنصارى من اختلافهم على أنبيائهم من تكذيب مثل من قد خلوا قبلهم من اليهود والنصارى من اختلافهم على أنبيائهم من تكذيب وقتل لهم وفعلهم بهم الأفاعيل الشنعاء، فيصيبهم ما أصابهم من التفرق والاختلاف في الدين ، مما يجعلهم نهباً لغيركم من الأمم سلباً وقتلاً وتشريداً، وفي الآخرة يصليهم العذاب العظيم ، ولا شك أن من ينظر في حال الأمة ، يلحظ أنها عندما ارتكبت النهي وقعت فيما حذرها الله سبحانه وتعالى ، فحصل التفرق والاختلاف وتسلط الأمم الكافرة وتداعيها عليها ، وأصبحت الأمة تعيش المرحلة الغثائية ، لا وزن لها بين الأمم على الرغم من كثرتها ، فإلى الله المشتكى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

النوع الثالث: دلالات الاستفهام

وهو من الأساليب الإنشائية الطلبية لتقرير المعاني ولزيادة الإيضاح ومعلوم أنه طلب بشيء لم يكن معلومًا من قبل بإحدى أدوات الاستفهام ويحتاج إلى جواب، وهذا المعنى لا يلفت أنظار البلاغيين وقد يعدل عنه إلى معان آخر تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، ومن هذه المعاني التي يخرج أسلوب الاستفهام في القرآن الكريم النفي والتعظيم والتهديد وغير ذلك من هذه المعاني السياقية.

والاستفهام: نوع من أنواع الإنشاء الطلبي، ومعناه طلب العلم بالشيء لم يكن معلوماً، وهو الاستخبار الذي قالوا فيه: إنه طلب خبر، وهو بمعنى الاستفهام، أي: طلب الفهم (الزركشي ،١٣٩١ هـ، ٢/ ٣٢٦) .

وقد حفلت سورة آل عمران بالكثير من صيغ الاستفهام، ومنها قوله تعالى: ﴿ المُلْكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَانِ المُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الانفِطَارِ المُطَفِّفِينَ الانشِقَاقِ البُرُوجِ الطَّارِقِ الأَعْلَى الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ اللَّيْلِ الضُّحَى الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ البَيِّنَةِ الزَّلْزَلَةِ العَادِيَاتِ القَارِعَةِ التَّكَاثُرِ العَصْرِ الهُمَزَةِ الفِيلِ ﴾ (آل عمران: ٣٧) .

فنلحظ معنى الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ الغَاشِيَةِ الفَجْرِ البَلَدِ الشَّمْسِ ﴾ من نغمة المنطوق الاستفهامي لسياق الاستفهامي لسياق أني ، وما يسبقها وما يلحقها من كلام، وهناك المقام " الموقف الكلامي الذي يعين على تحديد المعاني المختلفة من سياقاتها ، وهذه المعاني تعني بها البلاغة أكثر من غيرها ، والكشف عنها من أدق أسرار بلاغتها في النفوس وليس في هذا إلا التأمل والبحث في ضوء السياق .

فالاستفهام من نبي الله زكريا - عليه السلام - لمريم عليها السلام عن الرزق الذي رزقت به، ولذلك قالت: ﴿ الشَّرْحِ التِّينِ العَلَقِ القَدْرِ ﴾، وسبب استفهام نبي الله زكريا عليه السلام عن الرزق لكونه في غير وقته ووقت أمثاله ، قيل :كان عنباً في وقت الشتاء ، والاستفهام هنا للتعجب والدهشة والغرابة .

و " أَنَّى" يستفهم بها عن المكان، أي: من أين لك هذا؛ ولذا كان جوابها:" مِنْ عِنْدِ اللَّهِ" (الطاهر بن عاشور ،١٩٩٧م، ٣/ ٢٣٧) ، والاستفهام قد يراد منه معانٍ أخرى تفهم من مستتبعات التراكيب ، فالاستفهام في قوله تعالى : " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ" يراد به التعجب ، فقد قصد منه تعرف إمكان الولد ، لأنه عليه السلام لما سأل الله تعالى الولد ، فقد تهيأ لحصول ذلك ، فلا يكون قوله : " أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ" إلا طلباً لمعرفة كيفية ذلك على وجه يحقق له البشارة ، وليس من الشك في صدق الوعد ، وذلك لأن أنبياء الله عليهم السلام منزهون عن مثل هذا ، وهو كقول إبراهيم عليه السلام ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾ (آل عمران: ٢٦٠) ،فأجيب بأن الممكنات داخله تحت قدرة الله تعالى ، وإن عز وقوعها في العادة .

فمن ذلك التقرير وهو حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر قد استقر عنده "، كما في قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ التَّوْبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الحِجْرِ النَّحْلِ الإِسْرَاءِ الكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الأَنبِيَاءِ الحَجِّ المُؤْمِنُونَ النُّورِ

الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ

﴿ (آل عمران: ٢٠) ، فقال الحق تبارك وتعالى: ﴿ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ ﴾ ، أي: أأسلمتم، يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الإسلام، وتقتضي حصوله لا محالة، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم؟ فهو استفهام في معرض التقرير، والمقصود منه الأمر، وفي مجيء الأمر على صورة الاستفهام فائدة زائدة، وهي التعبير بكون المخاطب معانداً بعيداً عن الإنصاف؛ لأن المنصف إذا ظهرت له الحجة، لم يتوقف، بل في الحال يقبل ونظيره قولك لمن لخصت له المسألة غاية التلخيص، وقمت بإيضاحها غاية الإيضاح: هل فهمتها؟ فإن فيه إشارة إلى كون المخاطب بليداً قليل الفهم، وكذلك في التعبير بالفعل الماضي: "أَ أَسْلَمْتُمْ" دون المضارع؛ للدلالة على أنه يرجو تحقق إسلامهم، حتى يكون كالحاصل في الماضي "(انظر: الزمخشري، ١/ ٣٤٧).

ومثله الاستفهام في قوله تعالى:﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ ﴾(آل عمران: ١٢٤)، والاستفهام التقريري يكثر أن يورد على النفي، وإنما جيء في النفي بحرف "لن" الذي يفيد تأكيد النفي للإشعار بأنهم كانوا يوم بدر لقلتهم وضعفهم مع كثرة عدوهم ، كالآيسين من كفاية هذا العدد من الملائكة ، فأوقع الاستفهام التقريري على ذلك ليكون تلقينا لمن يخالج نفسه اليأس من كفاية ذلك العدد من الملائكة بأن يصرح بها نفسه، والمقصود من ذلك لازمه، وهذا إثبات أن ذلك العدد كاف، وإلى هذا ذهب ابن عطية. (ابن عطية، د، ت، ٣/ ٢١٥).

ويرى أبو حيان أن الاستفهام هنا للإنكار، حيث يقول: " ودخلت أداة الاستفهام على حرف النفي على سبيل الإنكار، لانتفاء الكفاية بهذا العدد من الملائكة "(أبو حيان ، ١٩٩٢ م ، ٣/ ٣٣٢) ، والراجح أنها للإنكار ، كما ذهب إلى ذلك البقاعي . يقول : " "إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ" أي الذين شاورتهم في أمر أحد ، وفي غارهم المنافقون ، لما زلزلوا برجوع أكثر المنافقين ، حتى كاد بعض الثابتين أن يرجع ضعفاً وجبناً، مع ما كان النبي أخبرهم به من تلك الرؤيا التي أولها بذبح يكون في أصحابه ، ليكون إقدامهم على بصيرة ، أو يصدهم ذلك عن الخروج إلى العدو كما كان ميل النبي في أكثر أصحابه وإعلامهم إلى المكث في المدينة قال منكراً آتياً بأداة التأكيد للنفي "أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ".

وأجيب بقوله: ﴿ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (آل عمران: ٢٥) ؛ لأنه مما لا تسع المماراة فيه (الطاهر بن عاشور ،١٩٩٧م، ٤/ ٧٣)، وقد يكون للاستفهام دلالات وأغراض أخرى نحو سياقها للتشويق، وللإنكار والتعجب، والتهديد، وللإنكار والتوبيخ، والتبكيت والإنكار.

النوع الرابع: دلالات النداء:

من أقسام الإنشاء الطلبي النداء، وهو: طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف مخصوصة. (بهاء الدين السبكي، ١٩٧٣، ٣٣٣/٢)، وقد وقف البلاغيون مع أسلوب النداء في مؤلفاتهم، وأولوه عناية كبيرة لما ينطوي عليه هذا الأسلوب من نكات ولطائف، تجلي الإعجاز القرآني في أبهى صوره.

ومن خلال استقراء آيات هذه السورة الكريمة وجدت أن أكثر النداء في آياتها جاء بحرف النداء " يا "، والنداء يؤتى به في النظم القرآني الكريم لجلب انتباه المستمعين والمخاطبين وتحصيل إصغائهم؛ ولهذا غالباً ما يليه الحكم سواء كان أمراً، أو نهياً، كما في قوله تعالى ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ ﴾.(آل عمران: ١٠٢)

وقد يعقب النداء استفهام كما في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿ بِسْمِ ﴾.(آل عمران : ٧١) .

وقد يكون النداء لإدخال الأنس على المنادى كما في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ ﴾.(آل عمران: ٤٣)

فنلحظ في هذا النظم الرباني الكريم، أن الملائكة عليهم السلام، قاموا بخطاب مريم عليها السلام باسمها الصريح فقالوا: (يَا مَرْيَمُ)، وذلك تأنيساً لها عليها السلام، وتوطئة لما تلقيه إليها من البشارة بالاصطفاء على نساء العالمين كافة، وبتطهيره لها.

وقامت ملائكة الرحمن عليهم السلام بإعادة النداء مرة أخرى في قوله: (يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)؛ لقصد الإعجاب بحالها؛ لأن النداء الأول قد كفى في تحصيل المقصود من إقبالها بسماع كلام الملائكة، فكان النداء الثاني مستعملاً في مجرد التنبيه، الذي ينتقل منه لازمه، وهو التنويه بهذه الحال، والإعجاب بها ونظيره قول امرئ القيس :

تقُولُ وَقَدْ مَالَ الْغَبِيطُ بِنَا مَعاً عَقَرْتَ بَعِيرِي يَامْرَأَ الْقَيْسِ فَأَنْزِلِ (امرؤ القيس، ١٩٥٩، ٤٦١)

فهو مستعمل في التنبيه المنتقل منه إلى التوبيخ (الطاهر بن عاشور ،١٩٩٧م، ٣/ ٢٤٤)، وقد يحذف حرف النداء، كما في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴾ ﴾ (آل عمران: ٥٣)، فالمؤمنون لما خاطبوا نبي الله عليه السلام بأدب جم وتعظيم وتبجيل كاملين، ترقوا إلى خطاب من أرسله ، وهو الحق سبحانه وتعالى ، وإعظاماً للأمر ، وزيادة في التأكيد ، فقالوا مسقطين لأداة النداء استحضاراً لعظمته بالقرب لمزيد القدرة ، وترجي منزلة الحب : {رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ} ، وحذف حرف النداء هو الأسلوب الشائع في القرآن مع لفظ الرب ، وكما أسلفت لم يذكر حرف النداء مع لفظ الرب إلا في موضعين هما في قوله تعالى: ﴿ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ ﴾ (الفرقان: ٣٠) وفي قوله : ﴿ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانْفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ ﴾،(الزخرف: ٨٨) والسر في إظهار حرف النداء في هذين الموضعين ؛ التعبير عن حالة نفسية ألمت بالرسول (ﷺ)، وقد افرغ جهده في دعوة قومه وإنذارهم ، فلم يزدهم ذلك إلا تمادياً في كفرهم ، فأطبق الهم على فؤاده ، وكأنما شعر بتخلي الرب عن نصرته ، وبعده عن أن يمد إليه يد المساعدة ، فأتى بحرف النداء ، كأنما يريد أن يرفع صوته ؛ زيادة في الضراعة إلى الله واستجلاب رضاه (انظر: أحمد بدوي ، د.ت ، ١٦٩)

وغير ذلك من النداء مع لفظ الرب، وهو كثير في القرآن الكريم، كما يحذف مع غير لفظ الرب، ولم يرد النداء على معناه الأصلي دائما، وإنما قد يخرج عن ذلك إلى معان أخرى تفهم من السياق وقرائن الأحوال.

النوع الخامس: دلالات التمني

هو أسلوب إنشائي طلبي والتمني هو وهو طلب حصول شيء محبوب بشرط أن يكون مستحيلاً، أو ممكنا لا يتوقع حصوله. الجرجاني، (التعريفات،١٤٠٧ هـ، ٩٥)، والأداة الموضوعة للتمني " ليت "، وقد يتمنى بغيرها كـ "هل "، و"لعل"، و " لو "، وهذه الأدوات ليست موضوعة للتمني، ولكن تنقل للتمني لاعتبارات بلاغية.

ومن صور التمني في آل عمران والمتضمنة للسياق الحالي ونلحظ أنه لم يقع التمني بـــ " ليت " في هذه السورة الكريمة، ووقع بـــ " لو "، والتمني بـــ " لو " يؤتي به حينما يكون المتمنى عزيزاً صعب الوقوع، بعيد المنال، كما في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ ﴾ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ ﴾ (آل عمران: ٣٠)،

فالحق - سبحانه وتعالى - يبين لنا في هذا النظم الرباني الكريم أن كل نفس ستجد ما عملته في سالف أيامها في الدنيا من خير أو شر؛ فإن كان صالحاً تمنى أن يكون قد ازداد من الأعمال الصالحة، وإن كان مسيئاً؛ تمنى أن لو كان بينه وبين هذا اليوم الرهيب الرعيب أمداً بعيداً، ولا شك أن هذا المتمني عزيز، صعب المنال، وذلك لأن " لو " وضعت في حقيقتها لتدل على امتناع الشيء، ومن هنا كانت حرف امتناع لامتناع.

وقوله تعالى :﴿ الْمُلْكِ الْقَلْبَ الْحَقَّةُ الْمَعَارِجِ نُوحٍ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنْسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ ﴾ (آل عمران: ٦٩)، فالحق تبارك وتعالى يعلم مدى اليأس الذي يجتاح نفوس المنافقين جراء إخفاقهم في صرف المسلمين عن دينهم ؛ وذلك لاطمئنان قلوبهم بالإيمان الذي خالط شغاف قلوبهم ؛ لذا نلحظ أن النظم الرباني يورد هذا التمني بـــ " لو " ؛ لبيان مدى تعسره وصعوبته ؛ ومن ينظر في سير تلك القمم ، يدرك ما كان يعانيه تلك النكرات من عناء ومشقة في سبيل محاولاتهم اليائسة ، بل إن أحدهم ليقول لأمه : يا أماه لو كان لك ألف نفس فخرجت نفساً نفساً على أن أترك ديني ما تركته ، وبعضهم كان يمشط بأمشاط الحديد بين عظمه ولحمه على أن يترك دينه ومع ذلك لا يزيده ذلك إلا إقبالاً عليه ؛ لذا كان إيراد المتمني بـ"لو" كفيل ببيان ما يعتري نفوسهم من يأس وقنوط من رجوع أهل الإيمان عن إيمانهم.

ويعرف هذا النفي من السياق أو من الموقف الكلامي " المقام وتدل عليه القرائن وهو أسلوب من أساليب الإيجاز في أكثر تراكيبه وصوره البلاغية، كدلالة بعض أساليب التمني على النفي الضمني من غير استعمال أدوات النفي المعروفة - كما بينا - ويؤدي بأدوات وتراكيب مختلفة ويتجلى هذا من خلال السياقات المختلفة.

المبحث الرابع: دلالات القصر وطرقه في سورة آل عمران

يعد القصر ـ واحدًا من الطرق الرابطة بين المسند والمسند إليه لتحقيق غرض بلاغي قد لا يتيسر ـ دون هذا الربط والقصر ـ: فن يمتاز بالإيجاز والتوكيد، وهو من الفنون المحكمة الدقيقة، التي تجعل الأسلوب مصوراً قوياً يوحي إلى القارئ بمعانٍ شتى.

جاء في " مقاييس اللغة " لأحمد بن فارس: القاف والصاد والراء، أصلان صحيحان، أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس، والأصلان متقاربان، فالأول القِصَر ـ خلاف الطُول. تقول: هو قصير بين القصر ـ، والقصر ـ: قصر ـ الصلاة، وهو ألا يتم لأجل السفر، قال تعالى: ﴿ الانشقاق البروج الطارق الأعلى الغاشية الفجر البلد الشمس الليل الضحى الشرح التين العلق القدر البينة الزلزلة العاديات القارعة التكاثر العصر ﴾.(النساء: ١٠١) ، والأصل الآخر: وقد قلنا إنما متقاربان. القَصْر ـ الحَبْس. يقال: قصرته إذا حبسته، وهو مقصور، أي: محبوس قال تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قَالَ ﴾، (الرحمن: ٧٢) (ابن فارس ، ٢/ ٩٨) وعلى ذلك : فالأصل الثاني وهو ما ذهب إليه البلاغيون لتحقيق معناه في القصر ـ : إذا إن تخصيص شيء بشيء معناه : حبس شيء على شيء ، أي : حبس صفة على موصوف ، أو موصوف على صفة .

أما القصر في الاصطلاح؛ فقد تلاقت نظرة البلاغيين على أنه تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص (السبكي، د.ت، ٢/ ١٦٧)

وقد حصر ـ " السكاكي " القصر ـ في طرقه التالية: " النفي والاستثناء، وإنما، وتقديم ما حقه التأخير، والعطف بكل من لا، وبل، ولكن " (السكاكي، ١٩٨٧ م، ١٢٤)

وطرق القصر ـ كثيرة كما صرح بذلك البلاغيون؛ ولكنهم يركزون على الربع المشهورة الاستعمال وهي: النفي والاستثناء، وإنما، والعطف بلا، وبل، ولكن ، وتقديم ما حقه التأخير .

وقد كان تناول البلاغيين لمبحث القصر تناولا يقترب من روح التقنين والتعقيد النظري أكثر مما يقترب من روح التذوق والتحليل الفني؛ إذ اعتمد تناولهم على تقسيمات وتفريعات قد تكون منعدمة الجدوى، لا تتصل بروح النص ولا تبحث في أسراره ولهذا ما دفعني لتطبيق هذا المبحث على القرآن الكريم ولا سيما سورة آل عمران.

فالقرآن الكريم غني بأساليب القصر، فقد وردت فيه جميع طرقه: " النفي والاستثناء، وإنما، التقديم، والعطف، وتعريف ركني الجملة، والتعريف بضمير الفصل "، ولكل طريق من هذه الطرق دلالة تختلف عن دلالة الطريق الأخرى؛ ولذلك نجد القرآن الكريم يؤثر أسلوباً منها في موضع على بقية الأساليب الأخرى لأن هذا الموضع يقتضي ـ هذا الأسلوب دون سواه، وهذا ما تراه الباحثة في أساليب القصر ـ في سورة " آل عمران " التي ستعرض لبعض أساليب القصر في آياتها مرتبة حسب طرقها.

أولاً: طريق النفي والاستثناء

النفي والاستثناء طريقة من طرق القصر ـ التي استعملها العرب كثيرا إشارة إلى القدرة في تأدية المعنى المقصود بأقصر ـ طريق، وهو نتيجة أسلوبين: أسلوب السلب وأسلوب الإيجاب.

وهو من طرق القصر التي جاءت عليها آيات هذه السورة، وهذا الطريق من أبلغ طرق القصر وأقواها؛ ولذا درج القرآن الكريم على إيراده في موقف الرد على المكذبين والطاعنين ومنكري ألوهية الله سبحانه وتعالى ورسالة سيدنا محمد (وهذا الطريق يقتضي ـ أن تشتمل الجملة على أداتين إحداهما للنفي والأخرى للاستثناء، وهذا هو قول جمهور البلاغيين دون من خالفهم كالسبكي رحمه الله الذي يرى وقوعه أيضاً في الكلام الموجب، ويمثل له بقوله: " قام الناس إلا زيد " (السبكي، ٢/ ١٩١)

ومن الآيات التي جاءت على هذا الأسلوب في هذه السورة قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :**

﴿ ﴿ ﴾ (آل عمران: ٢)، وإذا أمعن النظر إلى الجملة المستأنفة وهي قوله تعالى : هو الحي القيوم " لأدركنا أن سياق أسلوب القصر ـ أفاد أن الله - سبحانه وتعالى - هو المستحق بالعبودية لا غير، ومن ثم ينبغي مراعاة السياق اللغوي لقوله تعالى : " الحي القيوم" لأن الإعراب يوضح لنا مدى علاقته بالسياق النصي ـ فنقول إنه خبر بعد خبر له أو خبر لمبتدأ محذوف أي هو الحي القيوم لا غير ، وقيل : هو صفة للمبتدأ أو بدل منه أو من الخبر الأول أو هو الخبر وما قبله اعتراض بين المبتدأ والخبر مقرر لما يفيده الاسم الكريم ، أو حال منه على رأي من يرى صحة ذلك أيّاً مّا كان فهو كالدليل/ على اختصاص استحقاق المعبودية به سبحانه .

فسياق الآية الكريمة ومقامها أفادت قصر ـ الإلوهية على الله سبحانه وتعالى، فالإلوهية صفة، وهي مقصور (هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ) موصوف ومقصور عليه، وهذا القصر ـ حقيقي تحقيقي، فالإلوهية الحقة لله سبحانه وتعالى ، لا يماري في ذلك أحد ، حتى إن كفار مكة على كفرهم وشركهم كانوا

يقرون بإلوهية الله وحده ، وإنما كان التفاتهم إلى أصـــنامهم ؛ لكي تقربهم إلى الله زلفى يقول تعالى: ﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ يُونُسَ ﴾. (الزمر: ٣) .

ومما جاء على هذا الطريق أيضـاً، قوله تعالى:﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ الْبَقَرَةِ آلِ عِمْرَانَ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ ﴾ (آل عمران: ٦) ، إذ اشتملت هذه الآية الكريمة على وجازتها على أسلوبين، أو طريقين من طرق القصر:

أولها: في قوله تعالى: ﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ الأَنْفَالِ التَّوْبَةِ ﴾ حيث جاء سياق في هذه الآية الكريمة بالقصر بطريق النفي والاستثناء؛ حيث قصرت الإلوهية في هذا الأسلوب على الحق سبحانه وتعالى، وهو قصر حقيقي تحقيقي.

ولما كان المقام مقام إثبات الإلوهية لله وحده تكرر قوله تعالى: ﴿ النِّسَاءِ الْمَائِدَةِ الأَنْعَامِ الأَعْرَافِ ﴾للدلالة على نفي الإلهية عن غيره تعالى، وانحصارها فيه سـبحانه وتعالى وهذا رداً على من ادعى إلهية عيسى ـ عليه السـلام، وناسـب مجيئها بعد الوصـفين السـابقين من العلم والقدرة، إذ مَنْ هذان الوصفان له هو المتصف بالإلهية لا غيره.

ولتقريع المخالفين من النصارى وغيرهم من المعاندين، نلحظ أن العليم الحكيم سبحانه وتعالى؛ صرف الخطاب إليه من الغيبة إلى الخطاب في قوله: "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ "؛ وذلك ليعظم تنبههم على ما هم فيه من قهر المصور لهم على ما أوجدهم عليه ما يشتهونه ولا يفقهونه، فقال: "يُصَوِّرُكُمْ"، أي: بعد أن كنتم نطفاً.

وثانيها: في قوله: ﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ ؛ والقصر ـ هنا مفاد من تعريف الجزأين : المبتدأ والخبر ، أو المسـند والمسـند إليه حيث قصر ـ صفة التصـوير على الحق تبارك وتعالى ، وهو قصر ـ حقيقي ؛ لأنه كذلك في الواقع ، إذ هو مكون أسـباب ذلك التصـوير ، وهذا إيماء إلى كشـف شـبهة النصارى ؛ إذ توهموا في أن خلقه سبحانه عيسى ـ عليه السلام بدون ماء أب دليل على أنه عليه السلام غير بشر، وأنه إله تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وجهلوا أن التصوير في الأرحام، وإن اختلفت كيفياته لا يخرج عن كونه خلقاً لما كان معدوماً ، فكيف يكون ذلك المخلوق المصور في الأرحام إلهاً !! .

ويتضح أن القصر ـ أفاد الدلالة على نفي الإلهية عن غيره تعالى وانحصارها فيه توكيداً لما قبلها ومبالغة في الرد على من ادعى إلهية عيسى ـ عليه السلام وناسب مجيئها بعد الوصفين السابقين من العلم والقدرة إذ من هذان الوصفان له هو المتصف بالإلوهية لا غيره ثم أتى بوصف العزة الدالة على عدم النظير أو التناهي في القدرة والحكمة لأن خلقهم على ما ذكر من النمط البديع أثر من آثار ذلك.

ثانياً: دلالات القصر بـ " إنما "

وهذا هو الطريق الثاني من طرق القصر ـ عند البلاغيين، وهو دون الطريق الأول وهو طريق النفي والاسـتثناء، " وإنما " وإن شـاركت النفي الاستثناء في المعنى العام وهو القصر، وكونها بمعناه كما هو قول المفسرين إلا أن هناك فروقاً بينهما منها:

أنها تستعمل فيما من شأنه أن ينكر، وما وإلا بالعكس.

أنه لا يصلح معها دخول " من " الزائدة بخلاف ما وإلا.

وقد جاءت بعض من آيات هذه السورة الكريمة المباركة على هذا الأسلوب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَى الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ ﴾ (آل عمران: ١٥٥)، هذه الآية اسـتئناف لبيان سـبب الهزيمة الخفي ، وهي اسـتذلال الشـيطان إياهم ، والمراد بيوم التقى الجمعان يوم أحد (الطاهر بن عاشـور ،١٩٩٧م ، ٤/ ١٤) وقد قصر ـ نظم هذه الآية الكريمة التولي الذي حصل من المؤمنين في موقعة أحد في استذلال الشيطان، أي: أن ما وقع من مفارقتهم مواقفهم وعصيان أمر الرسـول ، والتنازع ، والتعجل إلى الغنيمة كان من آثار الشـيطان لأنه أوقعهم فيه ببعض ما كسـبوا من صـنيعهم ، والمقصـد من هذا حصر ـ تبعة هذا الانهزام على عواتقهم رضـوان الله عليهم ، وإبطال ما كان زوره المنافقون من رمي تبعته على أمر الرسـول (بالخروج ، وتحريض الله المؤمنين على الجهاد ، ولأجل هذا الأمر وتصحيح هذا المفهوم ؛ لجأ النظم الكريم إلى أسلوب القصر ، وهو من قصر القلب صفة على موصوف .

ومما يندرج تحت هذا الطريق أيضاً، قوله تعالى:﴿ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران: ١٧٥)، وهذه الآية واردة على أسلوب القصر بـــ " إنما" ، حيث قصرت الآية الكريمة كيد الشيطان على التخويف بأوليائه، فهذا غاية كيده ، ، فهو من قصر الموصوف على الصفة ، فهو دائماً يجلب على المؤمنين بالخيالات التي تضخم كيد أعدائهم ، وبأنهم إن التقوا بهم لن يصمدوا في مواجهتهم سوى وقت قصير ، حيث سيكونون بعدها كالعصف المأكول ، والشيطان لا يملك كما أخبر الحق سوى هذا السبيل لقذف الخوف في قلوب عباد الله المؤمنين ، ولكن عندما يحين وقت الجد يتبين للمؤمنين الإرهاب الذي ملأ الشيطان به قلوبهم ما كان إلا التخويف؛ لذا ينبغي للمؤمن الحق ألا يخشى إلا الله سبحانه وتعالى، وألا يلتفت لإرهاب الشيطان وحزبه .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ التَّوۡبَةِ يُونُسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ الۡحِجۡرِ النَّحۡلِ الۡإِسۡرَاءِ الۡكَهۡفِ مَرۡيَمَ طٰهٰ الۡأَنۢبِيَآءِ الۡحَجِّ الۡمُؤۡمِنُونَ النُّورِ الۡفُرۡقَانِ الشُّعَرَآءِ النَّمۡلِ ﴾ (آل عمران: ١٧٨) ، وفي سياق هذه الآية أداتا القصر أفادت: الأولى: في قوله: " وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ "

والثانية: في قوله: "إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ "، ودلالة المعنى الأولى يفيد قصر الحق تبارك وتعالى في هذه الآية الكريمة الإملاء على الزيادة في الكفر ، أي: ما نملي لهم إلا ليزدادوا إثماً ، فيكون أخذهم به أشد ، ومن ينظر في سياق هذا القصر لا يخفى عليه أنه قصر قلب ؛ وذلك لأن الكفرة يزعمون أو يظنون في قرارة أنفسهم أن إمهال الله لهم، وإغداقه عليهم النعم إنما هو لرضاه عنهم ، وأنهم على الحق ، فجاءت هذا الآية الكريمة لتنكر على هذا الزعم ؛ فتجعله هباء منثوراً ، كأن لم يكن .

ودلالة سياق المعنى يفيد أن " إنما " الثانية لقصر الإملاء على الزيادة في الإثم، حتى يوافوا الحق تبارك وتعالى، وقد نالوا جزاء ما قدموا من خير في الدنيا إن كانوا فعلوا شيئاً من الخير، والقصر في هذه الآية الكريمة أيضاً حقيقي؛ لأنه صادر من الحق تبارك وتعالى، وكل ما يقوله الحق فهو في هذه الدرجة.

ثالثاً: دلالات تقديم ما حقه التأخير

ويكون لمقصور متأخرا والمقصور عليه هو المتقدم والتقديم يفيد الحصر ووضوح الصورة؛ إذ يفرق عبد القاهرة " بين قولنا: " ما ضرب زيدا إلا عمرو " وقولنا: ما ضرب عمروا إلا زيدا " بأن الأولى لبيان من الضارب، والثاني لبيان من المضروب، وكذلك ما يتضح في القولين من نفي الشركة؛ فالأولى تعني أن زيداً لم يضربه اثنان، والثانية تعني أن عمراً لم يضرب اثنين " (عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ٢٠٠٣م ، ٣٣٧)

وتقديم ما حقه التأخير يكون بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المتعلقات على الفعل أو بعضها على البعض. وبعد ذلك نعرض الآيات المتضمنة السياق اللغوي.

ومما يفيد الحصر بالتقديم مواضع الاستفهام، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ **قال تعالى:** ﴾ (آل عمران: ١٥٨) أى : إليه لا إلى غيره .

ومن التقديم الدال على الاختصاص قوله تعالى: ومن ذلك قوله تعالى:﴿ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعۡدِ إِبۡرَٰهِيمَ الۡحِجۡرِ النَّحۡلِ الۡإِسۡرَاءِ الۡكَهۡفِ مَرۡيَمَ طٰهٰ الۡأَنۢبِيَآءِ الۡحَجِّ الۡمُؤۡمِنُونَ النُّورِ الۡفُرۡقَانِ الشُّعَرَآءِ النَّمۡلِ القَصَصِ العَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقۡمَانَ السَّجۡدَةِ الأَحۡزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتۡ الشُّورَى الزُّخۡرُفِ الدُّخَانِ الجَاثِيَةِ الأَحۡقَافِ مُحَمَّدٍ الفَتۡحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجۡمِ القَمَرِ الرَّحۡمَٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشۡرِ المُمۡتَحَنَةِ ﴾ (آل عمران: ٧)

فقدم الجار والمجرور " عليك " على المفعول "الكتاب" للاختصاص، ولبشارة النبي باختصاصه الإنزال دون غيره من أفراد هذه الأمة الأمية، بل دون العالمين في هذا الزمن وعلى فترة من الرسل عليهم السلام.

وتقديم ما حقه التأخير يكون بتقديم الخبر على المبتدأ أو تقديم المتعلقات على الفعل أو بعضها على البعض، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٍ الفَتۡحِ الحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجۡمِ القَمَرِ الرَّحۡمَٰنِ الوَاقِعَةِ الحَدِيدِ المُجَادِلَةِ الحَشۡرِ المُمۡتَحَنَةِ الصَّفِّ الجُمُعَةِ المُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحۡرِيمِ المُلۡكِ القَلَمِ الحَاقَّةِ المَعَارِجِ نُوحٍ الجِنِّ المُزَّمِّلِ المُدَّثِّرِ القِيَامَةِ الإِنسَٰنِ ﴾ (آل عمران ٢٨) ، والقصر في هذه الآية طريقه التقديم ، حيث قدم الجار والمجرور "إِلَى اللَّهِ" وهو المسند ، على المسند إليه " الْمَصِيرُ " ؛ لإفادة القصر ، فمصير الخلائق كما معتقد أهل التوحيد لله

سبحانه وتعالى ، ليس لهم مصير ولا مرجع إلى غيره ، حيث يجمع الله الأولين والآخرين لفصل القضاء بينهم ، ففريق في الجنة وفريق في السعير ، وهناك يتبرأ كل معبود من عابده ، وكل متبوع من تابعه، ولا يبقى إلا من تفرد بالعز والملك والجبروت سبحانه وتعالى ، وهذا القصر مقرر لمضمون ما قبله، ونلمح في هذا القصر تعريضاً بالوعيد أكد به صريح التهديد الذي قبله (انظر : الطاهر بن عاشور ، ٣ / ٢٢٢) .

ومن مثل ذلك قوله تعالى: ﴿ الْجِنِّ الْمُزَّمِّلِ الْمُدَّثِّرِ الْقِيَامَةِ الْإِنسَانِ الْمُرْسَلَاتِ النَّبَإِ النَّازِعَاتِ عَبَسَ التَّكْوِيرِ الِانفِطَارِ الْمُطَفِّفِينَ الِانشِقَاقِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ **قال تعالى :** ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ ﴾(آل عمران: ١٠٩) ، حيث قدم الجار والمجرور وهو الخبر " وَلِلَّهِ " على المسند إليه " مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي" ؛ لإفادة القصر ؛ وهذا مستفاد من تقديم ما حقه التأخير فكل ما في السماوات وما في الأرض ملك لله سبحانه وتعالى ، فهو الخالق وهو المدبر والمتصرف لا يعزب عن تصرفه وملكه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض ، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر ؛ حتى إن أخص خصائص الإنسان هو جسده الذي يحمله ما هو إلا أمانة لديه ليس له حق في أن يتصرف فيه حتى ولو بعد موته ، فهو داخل في الملك العام لله سبحانه وتعالى ؛ فكيف بغيره ، ولذا لجأ النظم الكريم هنا للتقديم والتأخير لتأكيد هذا المعنى وتقريره في النفوس مع أنها موقنة به .

كذلك انتظمت الآية الكريمة موضعاً آخر من مواقع التقديم ، وهو في قوله تعالى : " وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ "، حيث قدم الجار والمجرور " وَإِلَى اللَّهِ" على المسند الفعلي " تُرْجَعُ الْأُمُورُ " ؛ لتحقيق القصر ، وهو قصر رجوع الناس إلى الله سبحانه وتعالى ، وإدراك هذا الأمر من السياق والمعنى الذي تقرره الآية الكريمة ، فمرد الأمور ومرجعها إلى الحق تبارك وتعالى ، وهذا المعنى قرره الكتاب الحكيم في آيات كثيرة صريحاً تارة ، وتعريضاً أخرى بجلب الأساليب التي تفيده ، كأسلوب القصر كما في هذه الآية الكريمة .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾﴿ ﴾ (آل عمران:٣٩ و٤٠)، ومما يفيد القصر أيضاً تقديم المبتدأ على الخبر الفعلي في قوله تعالى: {يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ } ؛لإفادة القصر ؛ وذلك أن خلق الولد من شيخ فانٍ ، وعجوز عاقر أمر في غاية العجب ، وليس في وسع أحد أن يقوم به إلا الحق تبارك وتعالى ؛ ولأجل ذلك قدم على العامل ليفيد هذا المعنى ويقرره .

ومما طريقته تقديم الخبر على المبتدأ قوله تعالى: ﴿ يُونِسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَٰهَٰ الْأَنبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يسٓ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ ﴾،(آل عمران: ٩٦ : ٩٧) الذي يفيد الحصر ، فحج البيت عبادة يخص بها الله سبحانه وتعالى ، وهذا يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس ، لا ينفكون عن أدائه ، والخروج من عهدته ، وإيثار صيغة الخبر وإبرازها في صورة الجملة الاسمية الدالة على الثبات والدوام على وجه يفيد كذلك أنه حق واجب لله تعالى في ذمم الناس .

رابعاً: القصر بطريق العطف بـ " لا "، أو " بل "، أو " لكن "

والقصر بطرق العطف يكون المقصور مع " لا " هو المعطوف الواقع بعدها، والمقصور عليه هو المعطوف عليه المقابل لما بعدها أما مع " بل " و" لكن " فيكون المقصور ما قبلها والمقصور عليه ما بعدهما، ويراه بعض البيانيين من أقوى طرق القصر وذلك للتصريح فيه بالطرفين، المثبت والمنفي بخلاف غيره (الدسوقي، د. ت، ٢/ ١٨٦)

ومثله القصر بها في قوله تعالى: ﴿ الْأَنفَالِ التَّوْبَةِ يُونِسَ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طَٰهَٰ الْأَنبِيَاءِ الْحَجِّ ﴾ (آل عمران:١٦٩)، فقرأ الجمهور: " أَحْيَاءٌ " رفعاً على بتقدير" بل هم أحياء " وقرأ ابن أبي عبلة "أحياء"، وخرجها أو البقاء على وجهين: أحدهما: أن تكون عطفاً على: " أَمْوَاتاً "، قال: كما تقول: "ظننت زيداً قائماً بل قاعداً "، والثاني : وإليه ذهب "الزمخشري" أيضاً أن يكون منصوباً بإضمار فعل تقديره ، بل أحسبهم أحياء ، وهذا الوجه سبق إليه أبو إسحاق الزجاج (الحلبي السمين، ١٩٩٤ م ، ٢/ ٢٥٦)

فالنظم الكريم هنا نفي عن الشهداء الموت الحقيقي ، الذي يعقب القتل ، تبعاً للسنن التي جعلها الله لهذا الكون، وأثبت لهم الحياة ، وذلك بحرف القصر " بَلْ "، بل قصرهم على هذه الحياة الحقة ، وهي الحياة في ظل كنف الرحمن سبحانه وتعالى، وهذه الحياة حياة خاصة تترفع عن مؤهلات هذه الحياة الفانية حياة الأجساد ، التي يجري فيها الدم وينبض فيها القلب ، ولا هي حياة الروح التي يحياها جميع الناس بعد موتهم ، بل هي حياة لا يعلم كنهها إلا الحق سبحانه وتعالى وهذه الحياة مقصورة على هؤلاء الناس لا تتعداهم إلى غيرهم ، ولكون هذه الحياة خاصة لابد أن يكون رزقها خاصاً ، ولهذا جعل الله رزقها من جنان الخلد حيث تكون أرواحهم في حواصل طير خضر تأوي إلى قناديل حول العرش، كما أخبر بذلك النبي

هناك العديد من الآيات المتضمنة للسياق الحالي في باب القصر ـ فمن ذلك القصر ـ بـــ " بل " في قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ﴾ فنلحظ موقع القصر ـ بـــ " بَلِ " في هذا النظم الكريم ، من حيث الجمال ، وخفته على اللســـان ، وإحاطته بالمعنى في قوله : " بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ " ، فالله تعالى بعد أن نهى المؤمنين عن طاعة الكافرين ، واتخاذهم أولياء ، وأن هذه الطاعة ســبب كل بلاء، أبان أن ولاية المؤمنين يجب أن تكون لله ســبحانه وتعالى ، فهو وحده النافع والضــار ، وهو ســبحانه وتعالى هو الناصر لمن تولاه ، وولايته ليس نفعها منحصراً في الدنيا ، بل يتعدى ذلك إلى الآخرة .

" وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ" أي: أفضل الموصوفين بالوصف، فيما يراد منه، وفي موقعه وفائدته، فالنصر يقصد منه دفع الغلب عن المغلوب، فمتى كان الدفع أقطع للغلب كان النصر ـ أفضل، ويقصد منه دفع الظلم فمتى كان النصر ـ قاطعاً للظلم كان موقعه أفضل، وفائدته أكمل، فالنصر ـ لا يخلو من مدحة؛ لأن فيه ظهور الشجاعة، وإباء الضيم والنجدة.(الطاهر بن عاشور ، ١٩٩٧م ، ٤/ ١٢٣)

ومن القصر ـ بـــ " لكن " قوله تعالى:﴿ الصَّافَّاتِ صٓ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ ﴾ (آل عمران ٦٧) ، فالقصر ـ في هذه الآية الكريمة يفيد التوكيد على إثبات ديانة إبراهيم ولهذا نجد أن لهذا التوكيد قيمته في السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة التي أفادت الاستدراك فبعد أن نفت عن إبراهيم عليه السلام اليهودية والنصرانية لكونه عليه السلام متقدماً عليهما في الزمن؛ والإنسان لا ينسب لمن كان متأخراً عنه كما هو المتبادر، ثم حصر ـ حال إبراهيم عليه السلام فيما يوافق أصول الإسلام، ولذلك بين حنيفاً بقوله مسلماً، لأنهم يعرفون معنى الحنيفية ولا يؤمنون بالإسلام ، فأعلمهم أن الإسلام هو الحنيفية .

وهذا القصر ـ قصر ـ قلب، وهو حقيقي تحقيقي، وهذه الآية الكريمة مقيسة على قول الحق ســبحانه وتعالى في ســورة الأحزاب: ﴿ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ الصَّفِّ الْجُمُعَةِ الْمُنَافِقُونَ التَّغَابُنِ الطَّلَاقِ التَّحْرِيمِ الْمُلْكِ ﴾، (الأحزاب: ٤٠) فالمشركون كانوا يعتقدون فيه الأبوة لزيد ونفي الرسالة ، فقلب عليهم المولى اعتقادهم (الدسوقي ، د. ت ١/ ٣٨٣) ؛ لأنه ورد على حد تعبيرهم .

خامساً: القصر بضمير الفصل:

ومن الآيات المتضمنة للسياق اللغوي للقصر ـ قوله تعالى:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾ (آل عمران: ١٠) ، فالتعريف بضمير الفصل " هُمْ"؛ والإتيان به هنا في هذا السياق لإفادة الاختصاص، وجعلهم نفس الوقود مبالغة في الاحتراق؛ كأن النار ليس لها ما يضرمها إلا هم.

وكذلك قوله تعالى:﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالى : ﴾ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴾ (آل عمران: ٦٣) ، فالتعريف بضمير الفصل في قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحِيمِ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يفيد القصر ـ الإضافي الحقيقي ، كما يفيده تعريف الطرفين ، والحق وصف للقصص ، وهو المقصود بالإفادة هنا ، أي : إن هذا هو الحق لا ما يدعيه النصارى من كون المسيح عليه السلام إلهاً وابن الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً .

فالتعريف هنا بالضمير أفاد القصر ـ هنا والتأكيد، ودخلت لام الابتداء عليه؛ وذلك لزيادة التأكيد التي أفادها ضمير الفصل (انظر: أبو حيان الأندلسي، ٣/ ٢٠٣)

ومثل ذلك التعريف بالضــمير في قوله تعالى في آخر الآية: ﴿ ٱلرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾ فهو هنا أفاد تأكيد الخبر عن الله تعالى بالعزة والحكم ، والمقصود إبطال إلوهية المسيح عيسى ـ بن مريم على حسب اعتقاد النصارى ، وهم المخاطبون هنا ؛ فإنهم زعموا أن المسيح قتله اليهود عليهم لعنة الله ؛ وذلك ذلة وعجز لا يلتئمان مع الإلوهية ، فكيف يكون إلهاً وهو غير عزيز وهو محكوم عليه ، وفي هذا أيضاً إبطال لألوهيته؛ لكونه محتاجاً إلى من ينقذه من أيدي الظالمين. (انظر: الطاهر بن عاشور، ١٩٩٧م، ٣، ٢٦٧)

والقصر- هنا قصر- إفراد، ولا يصح أن يكون قصر- قلب؛ وذلك لأن النصارى يثبتون إلهية الله، ولكنهم يشركون معه عيسى-؛ فلهذا كان أسلوب القصر قصر إفراد لا قصر قلب، ولو كانوا يثبتون الإلهية لعيسى وحده لكان قصر قلب وهذا لا يقول به أهل الكتاب.

وخطورة الرأي الذي يتجلى في ضوء ما أشرنا إليه من قبل من أن قصر- القلب في نظرهم هو ما يكون المخاطب به يعتقد عكس المعنى، فهل يصح ذلك في الآية الكريمة التي يتوجه فيها الخطاب إلى الله جل شأنه؟ ومن قال بالقصر- الإفرادي هو المناسب للسياق النظم القرآني، ومن قال بالقصر القلبي فليس مناسبا للسياق.

ومنه قوله تعالى: ﴿ هُودٍ يُوسُفَ الرَّعْدِ إِبْرَاهِيمَ الْحِجْرِ النَّحْلِ الْإِسْرَاءِ الْكَهْفِ مَرْيَمَ طٰهٰ الْأَنْبِيَاءِ الْحَجِّ الْمُؤْمِنُونَ النُّورِ الْفُرْقَانِ الشُّعَرَاءِ النَّمْلِ الْقَصَصِ الْعَنْكَبُوتِ الرُّومِ لُقْمَانَ السَّجْدَةِ الْأَحْزَابِ سَبَإٍ فَاطِرٍ يٰسٓ الصَّافَّاتِ صٰ الزُّمَرِ غَافِرٍ فُصِّلَتْ الشُّورَىٰ الزُّخْرُفِ الدُّخَانِ الْجَاثِيَةِ الْأَحْقَافِ مُحَمَّدٍ الْفَتْحِ الْحُجُرَاتِ قٓ الذَّارِيَاتِ الطُّورِ النَّجْمِ الْقَمَرِ الرَّحْمٰنِ الْوَاقِعَةِ الْحَدِيدِ الْمُجَادِلَةِ الْحَشْرِ الْمُمْتَحَنَةِ ﴾ (آل عمران: ٧) ، فالسياق اللغوي لضمير الفصل " هُوَ " الذي صدرت به الآية الكريمة أفادت القصر- ؛ وهو من قصر- الصفة على الموصف أي : لقصر- صفة الإنزال على الحق تبارك وتعالى ؛ وهو قصر- حقيقي تحقيقي ، وهو من قصر- الصفة على الموصوف؛ وجاء السياق النصي- لهذه الآية الكريمة بهذا الأسلوب للرد على الكفرة الذين زعموا أن هذا القرآن إنما هو أساطير الأولين أكتتبها محمد (عن بعض أهل الكتب السابقة ؛ ليصرف أنظار أهل هذه الملة الأمية ؛ ليكونوا تابعين له ، وغير ذلك ، فلهذا جاء الرد بهذا القصر ، وأوثر لفظ " أَنْزَلَ " لأنه مختص بالله تعالى، ومن المعلوم أن الإنزال مرادف للوحي ، ولا يكون إلا من الله تعالى بخلاف ما لو قيل : " أتاك الكتاب" (الطاهر بن عاشور ،١٩٩٧م، ٣/ ١٥٤)

وهذه الآية مستأنفة مؤكدة لمضمون: "نزل عليك الكتاب بالحق.، وتمهيداً لقوله (منه آيات محكمات)؛ وذلك لأن في المتشابه خفاء، كما أن في تصوير ما في الأرحام كذلك، أو أن في هذا تصوير الروح بالعلم وتكميله به، وفيما قبلها تصوير الجسد وتسويته، فلما أن في كل منهما تصويراً أو تكميلاً في الجملة، ناسب ذكره معه، ولما أن بين التصوير الحقيقي الجسماني، والذي ليس هو كذلك من الروحاني من التفاوت ترك العطف.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى : ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ صدق الله العظيم بِسْمِ ﴾ (آل عمران: ١٠) ، مقام وسياق الآية الكريمة يدور حول حكاية ما دعى به المؤمنون : من دوام الهداية ، وسؤال الرحمة ، وانتظار الفوز يوم القيامة، واختصاصهم بهذه الصفات ثم اختص الله ـــ سبحانه وتعالى ـــ بذكر حال الكافرين في ذلك اليوم العظيم ، على عادة القرآن الكريم من المزاوجة بين الوعد والوعيد ، وإرداف البشارة بالنذارة ، وتعقيب دعاء المؤمنين بذكر حال المشركين ، إيماء إلى أن دعوتهم استجيبت (انظر : الطاهر ،١٩٩٧م ، ٣/ ١٧٢)

وهذه السورة الكريمة لما كانت سورة التوحيد؛ وذلك لكثرة ما دعت إليه، ونافحت من أجله، كان الأليق بخطاها أن يكون الدعاء فيه إلى الزهد، أهم من الدعاء في غيرها، والإشارة فيه إلى ذلك، أكثر من الإشارة في غيره، فكانت هذه الآية قاطعة للقلوب النيرة بما أشارت إليه من فتنة الأموال والأولاد الموجبة للهلاك.

الخاتمة:

من أهم النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث ما يأتي:

١. إن الأصل في الكلام أن يجئ مطابقا لمقتضى الحال ولا يخرج عن مقتضى الظاهر إلا لأسرار بلاغية يقتضيها السياق والمقام.
٢. تنوع مظاهر خروج الكلام عن مقتضى- الظاهر في سورة آل عمران وأن له أغراضا بلاغية فبلاغته ترتبط بالسياق ومقام الآية الكريمة التي ورد فيها هذا الأسلوب.
٣. ارتبط وضع الظاهر موضع المضمر والعكس في سورة آل عمران بالمعاني الجليلة والتي يقصد منها التفخيم والتعظيم.
٤. إنّ سورة آل عمران شأنها شأن سائر القرآن الكريم تشتمل على أساليب خروج الكلام عن مقتضى- الظاهر ذات أغراض مختلفة ممّا يؤكّد أن القرآن الكريم منزل من لدن حيكم خبير.
٥. إنّ الإظهار في مقام الإضمار جاء في القرآن الكريم متناسبًا مع السياق.
٦. تكمن في الآية الواحدة عدّة مواضع للإظهار في مقام الإضمار، وهذا من مظاهر الإعجاز البياني في النصّ القرآني.
٧. تبين من خلال هذه الدراسة كيف أنّ النصّ القرآني بهر العرب ببلاغته وإعجازه البياني في استعماله لخروج الكلام عن مقتضى- الظاهر.

٨. كلّ أســـاليب خروج الكلام عن مقتضىـــ الظاهر معجزة من ناحيتين: الناحية الأولى ناحية المبنى، والناحية الثانية من ناحية الدلالة التي يشتمل عليها هذا البناء.
٩. شكل الالتفات في سورة آل عمران أهمية بالغة في التراكيب بين الجمل حيث ربط السياق النصي للآيات بما يسبقها أو يلحقها مع مراعاة ربطها بالسياق اللغوي.
١٠. من صور الالتفات العدول من الماضي إلى المستقبل وعكسه.
١١. وجود علاقة وثيقة بين علماء النحو والبلاغة في خروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
١٢. أظهر البحث السر البلاغي والنكات البلاغية لخروج الكلام عن مقتضى الظاهر.
١٣. أظهر البحث خروج الأسلوب الإنشائي من دلالته الأصلية إلى أغراض بلاغية يتطلبها السياق.
١٤. تنوع أساليب الطلب الاستفهام، والأمر والنهي والتمني والنداء في سورة آل عمران.
١٥. أهمية أسلوب القصر في بيان الوحدانية والألوهية لرب العالمين.
١٦. تنوع أسلوب وطرق القصر في سورة آل عمران.

المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، ضياء الدين (د.ت)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة.
- أحمد بدوي: من بلاغة القرآن، دار النهضة، مصر، القاهرة، د.ت.
- الأصفهاني، الراغب (١٩٩٢م)، المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـــ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الدار الشامية، بيروت، دار القلم، دمشق، ط١.
- الألوسي، شهاب الدين (١٩٨٥)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٤.
- الأندلسي، أبو حيان (١٩٩٢م)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت.
- بسيوني فيود(١٤٠٨هـ)، علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل علم المعاني، مطبعة السعادة، القاهرة.
- البغوي، الحسين بن مسعود (١٩٩٩م)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، دار الكتب، بيروت.
- الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- البقاعي، برهان الدين (١٩٩٢م)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ط٢.
- أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد التميمي البغدادي، كتاب الســـبعة في القراءات، تحقيق: شـــوقي ضـــيف، دار المعارف، القاهرة، ١٤٠٠هـ.
- بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح، دار البيان ودار الهادي، بيروت، ط٤، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م.
- البيضاوي، ناصر الدين (د.ت)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار صادر، بيروت.
- التفتازاني: المطول، مطبعة أحمد كامل، تركيا، ١٣٣٠هـ.
- جار الله الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٣٦٧هـ.
- ابن أبي الحديد (١٩٨٤)، الفلك الدائر على المثل السائر، تقديم وتحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة، دار الرفاعي، الرياض.
- حسن الندوبي: ديوان مريء القيس، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط٤، ١٣٧٨هـ، ١٩٥٩م.
- الحلبي، السمين، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق وتعليق: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، ١، ١٩٩٤ م.
- أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.
- الدسوقي، حاشية الدسوقي: " ضمن شروح التخليص، دار الكتب، العلمية، بيروت، د.ت.

- الرازي، فخر الدين (١٩٨٩م)، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: د. أحمد حجا السقا، المكتب الثقافي، القاهرة.
- الرازي، فخر الدين (د.ت)، مفاتيح الغيب " التفسير الكبير، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.
- رضا، محمد رشيد (د.ت)، تفسير المنار، دار الفكر، بيروت، ط٢.
- الزجاج، أبو إسحاق(١٤٠٨هـ)، معاني القرآن وإعرابه، تحقيق: د: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط١.
- الزركشي، بدر الدين (١٣٩١هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، ط٢.
- الزمخشري، جارالله (د.ت)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السكاكي، يوسف بن أبي بكر١٩٨٧م، مفتاح العلوم، طبعه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
- سيبويه، أبو عمرو بن عثمان(١٩٨٨م)، الكتاب، المحقق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٣.
- السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، ١٩٧٥م .
- الصاوي، محمد إسماعيل (د.ت)، ديوان جرير، مكتبة النوري، دمشق.
- الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس، ١٩٩٧م.
- طبانة، بدوي (١٩٨٢م)، معجم البلاغة العربية، بدوي طبانة، دار العلوم للطباعة، الرياض.
- الطبري، محمد بن جرير (١٩٨٦م)، جامع البيان في تفسير القرآن، دار المعرفة، بيروت.
- ابن عاشور، محمد الطاهر(١٩٨٤م)، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، والدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، تونس ـ د.ط.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ٢٠٠٣م.
- أبو عبيدة معمر بن المثنى (١٩٨١م)، مجاز القرآن، تحقيق: فؤاد ستركين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣.
- العسكري، أبو هلال (١٩٨٦)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت.
- ابن عطية الأندلسي (٢٠٠٠)، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- عطية، مختار (١٩٩٠)، علم المعاني، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، تحقيق: د: عبد الرحمن عميرة، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.
- العمادي أبو السعود بن محمد (د.ت)، إرشاد العقل السليم في تفسير القرآن على مذهب النعمان، دار الكتب، بيروت.
- الفراء، زكريا يحيى بن زياد(١٩٨٣م)، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣.

ابن قيم الجوزية (١٩٧٥)، الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، دار الكتب العلمية، بيروت.

- ابن فارس، أحمد (١٩٧٩م)، معجم مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت.
- القزويني، أبو على الخليلي (١٣٠٦هـ)، الإرشاد في معرفة علماء الحديث، مطبعة البابي الحلبي.
- القوجوي، محمد بن مصطفى (د.ت)، حاشية شيخ زادة على تفسير البيضاوي، المكتبة الإسلامية، محمد أزدمير، تركيا.
- الكفوي، أيوب ابو موسى (د.ت)، الكليات معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، دار وهبة، مصر، ١٩٩٩م.
- مطلوب، أحمد(١٩٨٣م)، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، المجمع العلمي العراقي، العراق.
- ابن المعتز، عبد الله (١٤١٠هـ)، البديع في البديع، تحقيق: د. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت.

- ابن منظور، جمال الدين (١٤١٤هـ)، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط٣.
- النحاس، أحمد بن محمد (١٤٠٧هـ)، إعراب القرآن، تحقيق: محمد محي الدين، المكتبة العصرية.
- النحاس، أبو جعفر (١٩٨٨م)، معاني القرآن، تحقيق: محمد بن علي الصابوني، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي، مكة المكرمة، ط١.
- اليمني، العلويّ (د.ت)، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

Sources and References:

- Abdul Qaher Al-Jarjan, dalayil al'iiejaz, edited by: Mahmud Shaker, Al-Khanji Library, Cair, 2003 AD.
- Abu Bakr Ahmed bin Musa bin Al-Abbas bin Mujahid Al-Tamimi Al-Baghdad, kitab alsabeat fi alqira'at, edited by: Shawqi Deif, Dar Al-Maaref, Cair, 1400 AH.
- Abu Hayyan Al-Andalus, albahr almuhita, Dar Al-Fikr, Beirut, 1412 AH - 1992 AD.
- Abu Ubaida Muammar bin Al-Muthanna (1981 AD), majaz alquran, edited by: Fuad Sterkin, Al-Resala Fundatin, Beirut, 3rd editin.
- Ahmed Badawi: min balaghat alquran, Dar Al-Nahda, Egypt, Cair, D.T.
- Al-Alus, Shihab al-Din (1985), ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathan, Dar Ihya al-Turath al-Arab, Beirut, 4th editin.
- Al-Andalus, Abu Hayyan (1992), albahr almuhit fi altafsir, Dar Al-Fikr, Beirut.
- Al-Askar, Abu Hilal (1986), alsinaeatayn, edited by: Ali Muhammad Al-Bajjaw, Mdern Library, Beirut.
- Al-Baghaw, Al-Hussein bin Masud (1999 AD), maealim altanzil fi tafsir alquran, Dar Al-Kutub, Beirut.
- Al-Baqa', Burhan al-Din (1992), nazam aldarar fi tanasub alayat walsuwr, Dar al-Kitab al-Islam, Cair, 2nd editin.
- Al-Baqalani: 'iiejaz alquran, edited by: Ahmed Saqr, Dar Al-Maaref, Cair, D.T.
- Al-Baydaw, Nasser al-Din (D.D.), anwar altanzil wa'asrar altaawil, Dar Sader, Beirut.

- Al-Desuk, Hashiyat Al-Desuki: “Within the Explanatins f Al-Khalis,” Dar Al-Kutub, Al-Ilmiyyah, Beirut, d.d.
- Al-Emadi Abu Al-Saud bin Muhammad (D.D.), iirshad aleaql alsalim fi tafsir alquran ealaa madhhab alnueman, Dar Al-Kutub, Beirut.
- Al-Farra, Zakaria Yahya bin Ziyad (1983), maeani alquran, Wrld f Bks, Beirut, 3rd editin.
- Al-Halab, Al-Samin, aldir almasun fi eulum alkitaab almaknuna, edited and cmmented by: Ali Muhammad Mawad and thers, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, 1st editin, 1994 AD.
- Ali bin Muhammad Al-Jarjan, altaerifat, edited by: Dr. Abdul Rahman Amira, Wrld f Bks, Beirut, 1407 AH.
- Al-Isfahan, Al-Ragheb (1992 AD), Al-Mufradat fi Gharib Al-Qur’an, Al-Raghib Al-Isfahani (died: 502 AH), edited by: Safwan Adnan Daud, Al-Dar Al-Shamiya, Beirut, Dar Al-Qalam, Damascus, 1st editin.
- Al-Kafaw, Ayub Abu Musa (D.D.), alkuliyaat muejam almustalahat walfuruq allughawiat, edited by: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masry, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebann.
- Al-Nahhas, Abu Jaafar (1988 AD), maeani alquran, edited by: Muhammad bin Ali Al-Sabun, Umm Al-Qura University, Scientific Research Center, Mecca, 1st editin.
- Al-Nahhas, Ahmed bin Muhammad (1407 AH), iierab alquran, edited by: Muhammad Muhyiddin, Al-Maktabah Al-Asriyah.
- Al-Qawjaw, Muhammad bin Mustafa (d. T.), hashiat shaykh zadat ealaa tafsir albaydaw, Islamic Library, Muhammad Izdemir, Turkey.
- Al-Qazwin, Abu Ali Al-Khalili (1306 AH), al'iirshad fi maerifat eulama' alhadith, Al-Babi Al-Halabi Press.
- Al-Raz, Fakhr al-Din (1989), nihayat al'iijaz fi dirayat al'iiejaz, edited by: Dr. Ahmed Hagga Al-Saqqa, Cultural ffice, Cair.
- Al-Raz, Fakhr al-Din (d.), “Mafatih al-Ghayb” “The Great Interpretatin,” Dar Ihya al-Tarath al-Arab, Beirut, 1st editin.
- Al-Sakak, Yusuf bin Abi Bakr, 1987 AD, miftah aleulum, tabeuh wakatab hawamishah waealaq ealayhi: Naeem Zarzur, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah, Beirut, 2nd editin.

- Al-Sawy, Muhammad Ismail (d.), Diwan Jarir, Al-Nuri Library, Damascus.
- Al-Suyut, Jalal al-Din, al'iitqan fi eulum alquran, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Turath, Cair, 1975 AD.
- Al-Tabar, Muhammad bin Jarir (1986), Jami' al-Bayan fi Tafsir al-Qur'an, Dar al-Ma'rifa, Beirut.
- Al-Taftazani: Al-Mutawil, Ahmed Kamel Press, Türkiye, 1330 AH.
- Al-Taher bin Ashur, altahrir waltanwiru, Dar Sahnun, Tunisia, 1997 AD.
- Al-Yaman, Al-Alawi (d. T.), altiraz almutadamin li'asrar albalaghat waeulum haqayiq al'iiejaz, Mdern Library, Beirut, Lebann.
- Al-Zajjaj, Abu Ishaq (1408 AH), maeani alquran wa'iierabuhu, edited by: Dr. Abdul Jalil Abd Shalab, Wrld f Bks, Beirut, 1st editin.
- Al-Zamakhshar, Jarallah (D.D.), alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil tahqiqu, edited by: Abd al-Razzaq al-Mahd, Dar Ihya' al-Tarath al-Arab, Beirut.
- Al-Zarkash, Badr al-Din (1391 AH), Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an, edited by: Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim, Dar al-Ma'rifa, Beirut, 2nd editin.
- Attia, Mukhtar (1990), eilm almaean, Manshaet Al Maaref, Alexandria.
- Bahaa al-Din al-Subki: earus al'afrah, Dar al-Bayan and Dar al-Had, Beirut, 4th editin, 1394 AH/1974 AD.
- Bassiuni Feyud (1408 AH), ealm almaean, a Rhetrical and Critical Study f the Issues f the Science f Meanings, Al-Saada Press, Cair.
- Hassan Al-Nadubi: Diwan f Mur' Al-Qays, Grand Cmmercial Library, Egypt, 4th editin, 1378 AH, 1959 AD.
- Ibn Abi Al-Hadid (1984), alfalak aldaayir ealaa almathal alsaayir, presented and verified by: Dr. Ahmed Al-Hf, Dr. Badawi Tabana, Dar Al-Rifa, Riyadh.
- Ibn al-Atheer, Diaa al-Din (d.t.), al-methal al-sair fe adeb al-katib walshaar, edited by: Ahmed Al-Hfi and Badawi Tabana, Dar Nahdet Misr, Cair.
- Ibn Al-Mu'tazz, Abdullah (1410 AH), albadie fi albadie, edited by: Dr. Muhammad Abdel Mneim Khafaj, Dar Al-Jeel, Beirut.

- Ibn Ashur, Muhammad Al-Taher (1984 AD), altahrir waltanwiru, Tunisian Publishing Huse, and the Jamahiriya Publishing and Distributin Huse, Tunisia - Dr. I.
- Ibn Attiya Al-Andalusi (2000), Al-Muharrat Al-Wajeez, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebann.
- Ibn Faris, Ahmed (1979), muejam maqayis allughat, edited by: Abdul Salam Harun, Dar Al-Fikr, Beirut.
- Ibn Manzur, Jamal al-Din (1414 AH), lisan alearb, Dar Sader, Beirut, Lebann, 3rd editin.
- Ibn Qayyim Al-Jawziyyah (1975), alruwh fi alkalam ealaa 'arwah al'amwat wal'ahya' bialdalayil min alkitaab walsanat, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut.
- Jar Allah Al-Zamakhshar, alkashaf ean haqayiq altanzil waeuyun al'aqawil fi wujuh altaawil, Al-Babī Al-Halabi Press, Egypt, 1367 AH.
- Matlb, Ahmed (1983), muejam almustalahat albalaghiat watatawuriha, Dr. Ahmed Matlub, Iraqi Scientific Academy, Iraq.
- Muhammad Muhammad Abu Musa, khasayis altarakib, Dar Wahba, Egypt, 1999 AD.
- Reda, Muhammad Rashid (D.D.), Tafsir Al-Manar, Dar Al-Fikr, Beirut, 2nd editin.
- Sibawayh, Abu Amr bin thman (1988 AD), alkitab, edited by: Abdul Salam Harun, Al-Khanji Library, Cair, 3rd editin.
- Tabana, Badawi (1982), muejam albalaghat alearabiat, Badawi Tabana, Dar Al-Ulum Printing, Riyadh.